الاستعمال الوظيفي للّغة*

الملخص

اللغة فيها الحقيقة والمجاز. ويضاف إلى ذلك استخدام طائفة من الألفاظ، والتراكيب استخدامًا وظيفيًّا. وهو استخدامها بشكل مباشر دون التفات إلى أصولها اللغوية، أو علاقاتها الاشتقاقية، أو تغيراتها الصوتية. فدلالتها عند المستخدم هي ما تؤديه من وظيفة مباشرة. ويظهر هذا الاستخدام في مستويات اللغة المختلفة من صوتية وصرفية وتركيبية. ونصادفه في المستوى الفصيح، والمستوى اللهجي، متمثلاً في الكنايات والأمثال. ولهذا الاستخدام اللغوي على هذا النحو أهمية من حيث هو مفسر لبعض الظواهر اللغوية مثل (الترادف) و(المشترك اللفظي). وله أهمية من حيث صلته بالتغير اللغوي، وتوليد الألفاظ، وانتقال دلالاتها. وله أيضًا صلة باللغة الانفعاليَّة. ثمَّ إنَّ له أهمية تتعلق بالجانب التطبيقي من اللغة، وهو تعليم اللغة من جهة، والترجمة من جهة أخرى.

مقدمة

هذه محاولة لدراسة جانب من جوانب الاستخدامات المهمة للغة، وهو الاستخدام الوظيفي للغة، وترتبط هذه الدراسة بمستويات اللغة المختلفة من صوتية، وصرفية، ونحوية تركيبية. وهي آخر الأمر دراسة للمعنى؛ لأن دلالة الكلمات والتراكيب هي الوظائف التي يدركها المستخدم العادي للغة، دون أن يشغله أمر أصولها اللغوية، ولا علاقاتها الاشتقاقية.

وسوف أحاول في البداية أن أتحدث عن أنواع استخدام الألفاظ. ثم أضرب أمثلة من الاستخدام الوظيفي على مستويات لغوية مختلفة: على مستوى الصوت، والكلمة، والتركيب.

وقد يحتاج الأمر عند الحديث عن الأصوات إلى الكتابة الصوتية. والاعتماد في ذلك على الرموز الصوتية التي ذكرها (محمد الخولي) في كتابه (الأصوات اللغوية).

وهذه الدراسة بما هي سبر للمعنى لا تفرق بين المستويات اللغوية، فهي تنهل من الفصيحة ولهجاتها على حد سواء، لأن الاستخدام الوظيفي يكون في الفصيحة وفي اللهجات. وليس الهدف من الاستشهاد بالتراكيب اللهجية توطيد مكانتها، بل الاستفادة منها واستثمارها لجلاء ظاهرة لغوية. وكثيرًا ما كانت اللهجات شواهد جيدة على اتصال الظاهرة اللغوية القديمة إلى اليوم، وهو أمر بالغ الأهمية؛ إذ هو يعلن استمرار حياة هذه الظاهرة وإن على مستوى لهجي.

وفي ضوء ذلك الاتجاه تدرس طائفة من الأمثال والكنايات الفصيحة واللهجية.

وسوف نحاول بيان ما للاستخدام الوظيفي من أهمية في التغير اللغوي وتوليد الألفاظ،

* نشر في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٠م، ج١٠، ع٣٧، ص٣٢.

والانتقال الدلالي للألفاظ أو التراكيب من مجال إلى آخر. وثمة جانب آخر يمكن الوقوف عنده، وهو اللغة الانفعالية؛ إذ لها علاقة بالاستخدام الوظيفي، حيث تنقل طائفة من التراكيب لتستخدم استخدامًا وظيفيًّا لتعبر عن انفعالات الإنسان المختلفة.

ثم تفضي الدراسة إلى قضية مهمة، وهي إدراك أهمية الاستخدام الوظيفي عند التعليم. وتتمثل هذه الأهمية في أن الاستخدام الوظيفي هو محور اهتمام المستخدم العادي للغة، ولذلك فإن تعليم دارس اللغة الاستخدامات الوظيفية يجعله يستخدم اللغة على الوجه الصحيح، وإن كان أمر الاقتصار على تعلم ذلك قد يحدث لبسًا، ومن جهة أخرى فإن الاستخدام الوظيفي مهم عند الترجمة والنقل من لغة إلى لغة؛ إذ هو الذي يجب أن ينقل لا ما قد تعنيه مفردات التركيب من معانٍ معجمية حرفية.

الألفاظ ومستويات المعنى

انطلقت قسمة الكلام عند النحويين منذ سيبويه من التأسيس على المعنى، يشي بذلك قول سيبويه عن الحرف، "وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل"[١]. ومعنى (حرف) عنده: كلمة[٢]، فالحرف إذن: كلمة جاءت لمعنى ليس باسم ولا فعل[٣]. وتلقف النحويون هذه الكلمة (حرف) وجعلوها مصطلحًا لقسيم الاسم والفعل، وجعلوا لها مدلولاً مغايرًا لما جاء عند سيبويه، فهو قد قال، إن القسم الثالث حرف (=كلمة) له معنى مغاير لمعنى الاسم والفعل، أما النحويون، بعد ذلك، فقالوا: إن الحرف هو الذي ليس له معنى في نفسه، ولكن له معنى في غيره[٤]. ومفاد هذا أن الحرف ليس له معنى معجمي ولكنه يكتسب معناه من السياق الذي يوضع فيه، أي أن له دلالة وظيفية في السياق. وهي دلالة مرهونة بوجوده في السياق. فحروف الجر على سبيل المثال لا تفيد دلالة معجمية؛ ولكنها ذات قيمة وظيفية في الجملة[٥]؛ إذ هي تستخدم استخداما وظيفيًّا.

ويباين هذا الاستخدام الوظيفي للحروف استخدام الأسماء والأفعال، فتلك حينما تستخدم في الجملة إنما تجتلب معنى معجميًّا يفهم منها وهي خارج السياق. وعلاقة اللفظ بمعناه قد تكون

---

[١] سيبويه، الكتاب، ١: ١٢.

[٢] يذكر البطليوسي أن سيبويه سمى الأفعال المتصرفة والأسماء المتمكنة أيضًا حروفًا، وأجاب عن ذلك بـ"أنه لا يمتنع أن تسمى الأقسام الثلاثة التي يدور عليها الكلام حروفًا. وإنما جاز ذلك لأنها لّما كانت محيطة بالكلام، صارت كحدود الشيء الحاصرة له، المحيطة به. والشيء إنما يتحدد بأطرافه ونواحيه التي هي له. فجاز أن تسمى الكلم الثلاث حروفًا لهذا المعنى". البطليوسي، الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، ٢: ١٢٧.

[٣] الشمسان، الجملة الشرطية عند النحاة العرب، ص٥٧.

[٤] السيوطي، همع الهوامع، ١ :٧.

[٥] الشمسان، حروف الجر، ص٥.

علاقة اعتباطية لا مفسر لها[١]. وقد تكون علاقة اشتقاقية في تلك الألفاظ التي تولدت وأخذت من غيرها. هذه الدلالة المعجمية هي دلالة الألفاظ دلالة حقيقية على معانيها.

وهناك مستوى آخر من دلالة هذه الألفاظ (غير الحروف). وهو المستوى المجازي[٢]، فاللفظ قد ينقل من دلالته الحقيقية إلى دلالة أخرى، ولعله من أجل هذا النقل سمي مجازا[٣].ولا ينقل اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بشرط وجود مناسبة بينهما[٤].

وما يهمنا من المجاز في هذا المجال هو(المجاز المرسل)، "وهو ما وضع له ملابسة غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النعمة؛ لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة، ومنها تصل إلى المقصود بها، ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى المولي لها، فلا يقال: اتسعت اليد في البلد، أو اقتنيت يدًا. كما يقال: اتسعت النعمة في البلد، أو: اقتنيت نعمة، وإنما يقال: جلّت يده عندي، وكثرت أياديه لديَّ ونحو ذلك"[٥].

إذن فقد خرجت (اليد) من دلالتها المعجمية الأصلية (الحقيقة) إلى دلالة مجازية تستحضر العلاقة بين الدلالتين، وهي كون اليد الجارحة سببها في اليد النعمة، فحل السبب محل المسبب، وإذا تخلفت هذه العلاقة فإن معنى ذلك أن اللفظ فقد مجازيته أو أن اللفظ استخدام في معناه الحقيقي، ولا يمنع هذا أن يأتي اللفظ بمعناه الحقيقي في تركيب مجازي على سبيل الاستعارة، وذلكم التشبيه، قال صاحب الإيضاح: "وأما اليد في قول النبي ﷺ (المؤمنون تتكافأ دماؤهم

---

[١] أشار إلى ذلك ابن سيده في المخصص، ١: ٣. وانظر بحثًا مفصلاً للقضية عند المسدى، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ١٠٧- ١١٧. وقد جلاّ مذهب بعض علماء العربية إلى ذلك.

[٢] بحث البلاغيون كيفية الحكم على كون اللفظ حقيقة أو مجازًا، فذكروا أمورًا من أهمها أن اللفظ إن استعمل في معنيين يرد أحدهما عند الإطلاق، فذلك (الحقيقة)، ويرد الآخر بقرينة فذلك (المجاز). انظر: العلوي، الطراز، ١: ٩٠- ٩٧.

[٣] على أن لفظ المجاز مر بمراحل من الدلالات انتقالاً من المعنى المعجمي إلى المعنى الاصطلاحي، فالمجاز عند أبي عبيدة في كتابه (مجاز القرآن) ذو دلالة عامة فهو كشف لمعاني الألفاظ في مواضعها من النص القرآني، حيث ترد (مجاز) وورود ألفاظ مثل: تفسيره، بيانه، فهو يقول: مجازه كذا أو بيانه أو تفسيره، فالمجاز إذن هو طريق القرآن في التعبير عن المعنى. انظر: عبد الجليل، المجاز وأثره في الدرس اللغوي، ص ٤٥- ٤٧. أما ابن فارس فيذكر أن المجاز هو ما جاز مجاز الحقيقة أي ما جرى مجراها وعنى معناها (ابن فارس، الصاحبي، ص ١٩٧- ١٩٨). وعند ابن الأثير "المجاز هو نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيره" (ابن الأثير، المثل السائر، ١: ١٠٧).

[٤] اختلف التعبير عن هذه الحقيقة والمجاز فقرر ابن جني أنه "لا يفضي إلى ذلك إلا بقرينة تسقط الشبهة" (ابن جني، الخصائص، ٢: ٤٤٢). وعبر عنها عبد القاهر بقوله: "لملاحظة بين الثاني والأول" (الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٣٢٥). أو هي: "العلاقة بين الأول والثاني" (العلوي، الطراز، ١: ٦٤). أو "لمناسبة بينهما" (الأسنوي، الكوكب الدري، ص ٤٣٢). وهي اختلافات غير جوهرية.

[٥] القزويني، الإيضاح، ١: ٢٧٠.

ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم) فهو استعارة، والمعنى أن مثلهم مع كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة، فكما لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضًا، وأن تختلف بها الجهة في التصرف، كذلك سبيل المؤمنين في تعاضدهم على المشركين، لأن كلمة التوحيد جامعة لهم"[1]. ونحن هنا نميز بين نوعين من المجاز: الأول الحادث في اللفظ المفرد وهو المجاز المرسل، والثاني الحادث في التركيب، نتيجة لخلق تلازمات جديدة غير مألوفة بين ألفاظ لم يعهد تلازمها من قبل أو أنَّ في تلازمها غرابة وفرادة. واللفظ في هذا النوع حقيقي لكن علاقته بضمائمه مجازية. ويعدد البلاغيون أوجه العلاقة بين المجاز والحقيقة[2]. ولكنهم يختلفون في عدد هذه الوجوه[3].

نخلص الآن إلى أن هناك ثلاثة أنواع من الاستخدام للألفاظ:

١- الاستخدام المعجمي الذي يستحضر المعنى المعجمي أي: الدلالة الحقيقية.

٢- الاستخدام المجازي الذي يستحضر المعنى المجازي الذي هو فرع على الأول مقرونا بالمناسبة بينهما.

٣- الاستخدام الوظيفي، وهو استخدام القسم الثالث من أقسام الكلام وهي الحروف. فالحروف لا يقال عنها إنها ذات دلالة حقيقية أو مجازية "فلا مدخل للمجاز فيها، لأن وضعها على أنها تدل على معان في غيرها فلا بد من اعتبار الغير في دلالتها"[4].

ميدان الاستخدام الوظيفي

والسؤال الآن أخاص الاستخدام الوظيفي بالحروف، أم يشاركها غيرها؟

والحق أن ذلك ليس خاصًا بالحروف وحدها بل هو عام لكل لفظ أو تركيب يستخدمه متكلم اللغة دون وعي بالنظام الداخلي له، أو استخدام اللفظ بعيدًا من أصل معناه المعجمي دون قرينة تشير إلى ذلك الأصل.

---

[1] القزويني، الإيضاح، ١: ٢٧١.

[2] من وجوه التجوز باسم الجزء عن الكل، وباسم الكل عن الجزء، باسم السبب عن المسبب. وباسم المسبب عن السبب، وباسم ما كان عليه الشيء، وباسم ما يؤول إليه الشيء (القزويني، الإيضاح، ١: ٢٧٢- ٢٧٥). وتسمية الحالّ باسم محله، وتسمية المحل باسم حالّه، وتسمية الشيء باسم آلته، وتسميته بدواعيه، وباسم جهته، واسم حامله، واسم محموله، ومجاوره (الطيبي، التبيان في البيان، ص ١٨٢- ١٨٣).

[3] حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، ص ١٠٩.

[4] العلوي، الطراز، ١: ٨٨.

ويدخل في هذا المجازات التي فقدت دلالتها المجازية نتيجة لكثرة الاستعمال[١]، فكثرة استخدام المجاز توهم أن اللفظ حقيقي الدلالة، مثال ذلك كلمة (الجامع)، فهي صفة يمكن أن توصف بها أشياء كثيرة، وقد وصف بها المسجد أو نوع من أنواعه، ثم صارت الصفة تستخدم للدلالة على المسجد على نحو مجازيٍّ، ومع كثرة الاستعمال نسي أنها صفة ولم يعد يفهم منها سوى (مسجد)، وصارت تعامل معاملة الاسم فتوصف هي أيضًا، فنقول: (الجامع الأموي)، وتضاف فنقول: (جامع ابن طولون).

وما نريد التنبيه إليه هو أن الذي أفقد اللفظ دلالته المجازية هو الاستخدام الوظيفي له، وهو جعل كلمة(الجامع) تؤدي وظيفة بعيدة بعض البعد عن معناها المعجمي[٢] - وهو(الجمع)- فتدل على البناء أو البيت الذي جعل للعبادة.

ويدخل في هذا أيضًا ما يسمى عند البلاغيين بالحقيقة الشرعية والحقيقة العرفية[٣]، ويدخل فيها كل مصطلحات العلوم ، فهي عند استخدامها لا تستحضر دلالاتها المعجمية التي أخذت عنها؛ لأنها صارت تنهض بوظيفة، وهي أداء المفهوم الذي اصطلح عليه، ولأن المستخدم إنما يهمه من الألفاظ ما تؤديه من وظائف فإنه ينسى العلاقة بين المصطلح وأصله الذي أخذ منه، وقد يعمد المعلمون إلى تذكير الطلاب حين يشرحون معنى اللفظ في اللغة ثم في الاصطلاح.

ويشبه هذا الاستخدام للغة استخدام الأجهزة الكهربائية وما يشبهها من أجهزة أخرى. وذلك أن ما نعرفه عن هذه الأجهزة هو الوظيفة التي تؤديها هذه الأجهزة، فكذلك الذي يستخدم اللغة وهو غير واعٍ بنظامها الداخلي فاستخدامه وظيفي لأنه يتعامل معها تعامله مع الأجهزة ذات الوظائف.

وقبل المضي في درس جوانب هذه الظاهرة يجب التنبيه إلى أنه ليس المقصود بالوظيفية ما للألفاظ من وظائف نحوية في الجملة مثل الفاعلية أو المفعولة أو غيرها. ولا نعني بالاستخدام

---

[١] وقد عقد ابن جني في(الخصائص ٢: ٤٤٧) بابا سماه (باب في أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة). وذكر عبد الحكيم راضي أن هذه النظرة ترددت عند من جاء بعده مثل صاحب(الجامع الكبير). والزمخشري في(الكشّاف) وعند الرازي في (المحصول)، انظر: (راضي، نظرية اللغة في النقد العربي، ص ١٢١.

[٢] معنى "المسجد الجامع: الذي يجمع أهله، نعت له لأنه علامة الاجتماع، وقد يضاف، وأنكره بعضهم، وإن شئت قلت مسجد الجامع بالإضافة كقولك الحق اليقين، بمعنى مسجد اليوم الجامع وحق الشيء اليقين لأن إضافة الشيء إلى نفسه لا تجوز إلا على هذا التقدير" (ابن منظور، لسان العرب، مادة: (جمع).

[٣] الحقيقة العرفية هي المصطلح العلمي الذي يتواضع عليه العلماء سواء أكان منقولاً أم موضوعًا مرتجلاً. أما الحقيقة الشرعية فهي مصطلحات فقهية، وألفاظ دينية منقولة من اللغة لتدل على مفاهيم دينية. (العلوي، الطراز، ١: ٥٥، ٥٤).

الوظيفي ما يطلق عليه في علم الدلالة عند الغرب (نظرية السياق) أو (نظرية الاستخدام)[1]- وإن كان يلتقي معها بعض الالتقاء- وإنما نعني به استخدام الأدوات التي لا يكون لها مدلول خارج السياق أو الجملة، وكذلك استخدام تلك الألفاظ أو التراكيب بعيدًا عن معناها المعجمي، أو المجازي، أو ما لابس تركيبها الأساسي من ملابسات تبيّن علة الاستخدام الأول.

والخلاف بين الاستخدام الوظيفي و(نظرية السياق أو الاستخدام) هو أن النظرية تحاول تفسير الألفاظ اعتمادًا على السياق الذي ترد فيه، حيث يتعدد المعنى بتعدُّد السياقات، ذلك التعدد الذي يفرض ضمائم جديدة تضم مع اللفظ، ولكن هذا التعدُّد في المعنى قد لا يبتعد باللفظ عن معناه المعجمي؛ ولكنه قد يعطيه خصوصية من بعد تعميم وقد يدخل في هذا، المعاني المجازية، أما ما نذهب إليه فقد أوضحناه سابقًا فهو ليس المعنى المعجمي، وهو ليس المعنى المجازي الذي يفترض العلاقة بين المجاز والحقيقة؛ ولكنه معنى سياقيٌّ تكون فيه الدلالة هي وظيفة الدالِّ.

الاستخدام الوظيفي في المستويات اللغوية

يمكن تلمس هذا الاستخدام في مستويات لغوية مختلفة، على مستوى الصوت، والكلمة، والتركيب.

أولا : مستوى الصوت

هنالك ما يسمى الوحدة الصوتية (الفونيم)، أي الصوت من حيث قيمته الدلاليَّة، وهي كونه مشاركًا في بناء اللفظ ومعناه. فعلى الرغم من أنَّنا نسمع صورًا صوتية مختلفة فإنَّنا نفهم مدلولاً واحدًا، وإن تكن هذه الصور راجعة إلى التنوُّع اللهجي، أو إلى طرق الأداء الشخصية التي قد

---

[1] ومفهوم هذه النظرية هو أن معنى اللفظ يتحدد بكيفية استخدامنا إياه؛ ولذلك يقال مثل هذه الأقوال التي تصدر عن مفهوم النظرية: "لا تبحث عن المعنى، ابحث عن الاستخدام"، "إن شرح معنى الكلمة يكون بإظهار كيفية استخدامها"، "فأنت تفهم معنى الكلمة لأنك تعرف كل استخدامها". انظر: (إسلام، مفهوم المعنى، ص ٦٥- ٧٠). ومعنى الكلمة يختلف من سياق إلى آخر حيث يتأثر معناها بما ترد معه في سياق واحد، مثال ذلك كلمة (طيب) فقد نقول: رجل طيب، يوم طيب، طعام طيب، فالكلمة تعني شيئًا مختلفًا كل مرة. انظر أمثلة أخرى: السياق العاطفي، والسياق الموقفي، والسياق الثقافي. انظر في تفصيل ذلك: (عمر، علم الدلالة، ص ٧٠). أما المعنى الوظيفي الذي نعنيه فليس هذا المعنى السياقي المؤقت بل هو المعنى العملي الذي يفهم من ظاهر اللفظ أو التركيب بمعزل عن أصل اللفظ أو أصل التركيب ذلك الأصل الذي كان سببًا في استخدام اللفظ أو التركيب أول مرة ثم نسي أو غفل عنه بعد ذلك. كاستخدام لفظ (حنش) علما على رجل، فالمستخدم العادي في موقف عادي جاد لا يخطر بباله المعنى المستكرة للاسم: لأنه يستخدم اللفظ استخدامًا وظيفيًّا، وهو استحضار صورة صاحب العلم إلى الذهن. ومن هنا فليس بغريب أن تفخر عائلة مثل (السكران) باسمها.

تكون راجعة إلى أسباب أحيائية، أو مرضية طارئة أو دائمة[١].مثال ذلك صور القاف في اللهجات العربية، فنجد صورة (القاف الفصيحة) في كلمة مثل: قال، وهي صوت لهوي مهموس. وتسمع في لهجة اليمن اليوم، وصورتها في: قال (گـال)، وهي صوت طبقي مجهور مرقَّق، وتسمع في الحجاز، وأما في نجد فهي مفخمة (گـ ـال)، وأما في القاهرة[٢]، وبلاد الشام، ولبنان والأردن فتسمع همزة: آل، أي صوت حنجري. وهي في بعض اللهجات الفلسطينية: كال، وهي صوت طبقي[٣] أيضًا غير أنه مهموس بخلاف الصورتين في نجد والحجاز فهما مجهوران. وهي في السودان والخليج العربي قد تنطق طبقية مجهورة احتكاكية في بعض الكلمات: يقولون في السودان: بغر(: بقر)، وفي الخليج يقولون: غاضي(: قاضي)، أما (قال) فقافها في الخليج طبقية مفخّمة كالنجدية. ومن صور نطق القاف نطقها غارية كما في الكويت في كلمات[٤] نحو: جريب (: قريب)، جاسم (: قاسم)[٥]، وهناك صورة أخرى للقاف تسمع في نجد، وهي غارية لثوية (صوت مركب من الجيم والزاي[٦]) في مثال الكلمات: قمين[dᶻimiin]، قبلة[dᶻilih]، ثقيل[thidᶻiil]، بريق(: إبريق)[briidᶻ]، ريق[riidᶻ]، سبيق[sibiidᶻ]، لابق[laabiidᶻ]، لاحق[laahidᶻ] (ولكنها طبقية في جعل القاف متقدمة تقدمًا جعلها تكتسب صفات من الجيم والزاي.

ونضرب مثالا من تنوع الحركات فتكون الفتحة رقيقة في مثل الكلمة: يَلعب، مطبقة في مثل يَطلب، وهي خيشومية في مثل: يَنهر.

وكل هذه الاختلافات لا يؤبه بها؛ لأنها على تعددها تستخدم استخدامًا وظيفيًّا واحدًا. فليس هناك تعدد في مقابل التعدد الصوتي.

ثانيا: مستوى الكلمة

هناك طائفة من الكلمات أشبهت الحروف في أنها تستخدم استخدامًا وظيفيًّا. من ذلك (الضمائر) فهي ليست ذات دلالة معجمية فليس لها دلالة خارج الجملة، ووظيفتها التعبير عن

---

(١) هناك دراسات تناولت ما يسمى عيوب الكلام على اختلاف أنواعها من مرضية، من ذلك: عيوب الكلام: دراسة لما يعاب من الكلام عند اللغويين العرب لوسمية عبد المحسن المنصور(جامعة الكويت، ١٩٨٦م).

(٢) خارج القاهرة والمدن الكبرى أي في الصعيد والفلاحين تسمع القاف الحجازية، طبقية مرققة.

(٣) يوجد مثال واحد لهذه الصورة في لهجة القصيم (نجد)وهو: قتل ← كتل.

(٤) يوجد مثال واحد لهذه الصورة في لهجة القصيم (نجد)وهو: يقسم ← يجسم؛ ولكن يقال: مقسوم أي مقدر.

(٥) يفرق الكويتيون بين الاسم القديم (قاسم) فينطقونه بالجيم: جاسم، والاسم المسموع في خارج الكويت (قاسم) فينطقونه بالغين: غاسم.

(٦) يذهب رمضان عبد التواب إلى أن هذا الصوت مكون من: الدال والزاي (dz) (التطور اللغوي وقوانينه، ص ١١١)، ولكن للميل إلى أن التركيب من الجيم والزاي، والجيم فيها الدال على أي حال.

الاسم الظاهر المعهود عهدًا ذكريًّا أو حضوريًّا، ومنها (أسماء الإشارة)، و(الأسماء الموصولة)، و(أسماء الشرط)، و(أسماء الاستفهام)، فكل هذه الكلمات ليس لها معنى خارج السياق بل لها دلالة وظيفية. فاستخدامها إنما هو استخدام وظيفي. ومن الملاحظ أن هذه الكلمات أشبهت الحروف في غير الاستخدام الوظيفي وذلك في قلة حروفها. وقد فسر النحويون بهذه الألوان من الشبه كون هذه الكلمات مبنية[١].

ويأتي في هذا الإطار أيضًا الأفعال الناسخة فهي قد غادرت دلالاتها المعجمية حين استخدمت استخدامًا وظيفيًّا، فلا نجد في أصبح، وأمسى، وغيرهما المعنى المعجمي من إصباح أو إمساء، ولكن معنى وظيفيًّا كالدلالة على التحول أو الاستمرار أو غيرهما من الدلالات التي تتخلف خارج السياق، ومن أجل ذلك جمدت بعضها جمود الحروف، وغاب الأصل المعجمي لبعضها مثل (عسى)، وخالفت الأفعال بعض المخالفة في مجيئها دون فاعل(ناقصة)، أو في أنه لا يقتصر على أحد مفعوليها (ظن وأخواتها)[٢].

وعلى مستوى الكلمة يمكن أن نشير هنا إلى قضية (الترادف). مثال: السيف، الحسام، الصارم، البتّار، المصلت، الهندواني، المشرفي، عضب. وقد اختلف القدماء في هذه الظاهرة فمنهم مثبت ومنهم دافع لها، قال ابن درستويه: "فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من النحويين واللغويين، وإنما سمعوا العرب تتكلم على طبائعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة، وعلى ما جرت به عاداتها وتعاريفها. ولم يعرف السامعون تلك العلة فيه والفروق، فظنوها أنها بمعنى واحد، وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم، فإن كانوا قد صدقوا في رواية ذلك عن العرب، فقد أخطأوا عليهم في تأولهم مالا يجوز في الحكمة"[٣].

ومن أهم أسباب (الترادف[٤])، أن تتعدد صفات الشيء بتعدد الاعتبارات، ويبين(حاكم مالك لعيبي) بعد أن أورد الاعتبارات التي وصف بها السيف أن اختلاف هذه الألفاظ عن (السيف) في أنها تدل عليه لخاصية معينة فيه، على حين تدل كلمة (سيف) على المسمى مجردة من هذه الاعتبارات، ولابد أن البدوي كان يراعي هذه الفروق ويلحظ تلك الاعتبارات في استعماله

---

[١] ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ١: ٢٦- ٢٨.

[٢] الشمسان، قضايا التعدي واللزوم في الدرس النحوي، ص١٠٧.

[٣] ابن درستويه، تصحيح الفصيح، ١: ١٦٥- ١٦٦.

[٤] من أسباب الترادف: المجاز، اللهجات، المعرب، والدخيل. وانظر في تفصيل ذلك: حاكم مالك لعيبي، الترادف في اللغة، ص ٧٥- ١٩١.

لهذه الألفاظ وإطلاقها على السيف في الأصل، غير أن مرور الزمن وكثرة تداول هذه الصفات وشيوعها في الاستعمال جعلها تغلب غلبة الأسماء، بل طغى بعضها في الاستعمال على الاسم الحقيقي المجرد (السيف)، فهذه الألفاظ الغالبة المشهورة في السيف قد كانت صفات له لا ريب لكنه قد أغفل فيها معنى الوصف بقدر دلالتها العامة على السيف. فقد جعلت أسماء للسيف دون إشعار بالوصفية، وإن كان البدوي في العصور المتقدمة يحس الفروق بين دلالات هذه الألفاظ فإن العربي في العصر العباسي لم يعد يعنيه منها سوى دلالتها العامة على (السيف) مجردة من تلك الاعتبارات. ويشهد لذلك استخدام هذه الألفاظ في دواوين الشعر العربي المتأخرة كديوان المتنبي وأبي فراس[١].

ومن أمثلة هذه الظاهرة في اللهجات المحلية ترك الألفاظ لدلالاتها الخاصة من أجل دلالة عامة مثل الأفعال، (زيّن، صلّح قهوة، سوّى قهوة). ولا فرق بين هذه الأفعال، لأنها كلها استخدمت استخدامًا وظيفيًّا واحدًا لا يلتفت فيه إلى المعنى المعجمي الأساسي.

ونظير هذه الظاهرة ظاهرة تقابلها وهي (المشترك) اللفظي حيث يكون التعدد في المعنى في مقابل اللفظ الواحد بخلاف (الترادف) الذي هو تعدد في اللفظ في مقابل المعنى الواحد.

عرض إبراهيم أنيس لقضية (المشترك اللفظي) وبيّن جهة اختلاف القدماء في النظر إليها، ثم لخّص أسباب تغير المعنى الذي من شأنه أن ينتج عنه (المشترك اللفظي)، فذكر أن اللفظ ينتقل من الحقيقة إلى المجاز، ثم يكثر استعماله، وتنسى الناحية المجازية فيه، فتصير حقيقة. ومن الأسباب سوء فهم المعنى على نحو ما يحدث من الأطفال. والدخيل الذي قد يوافق مادة عربية مصادفة[٢]. تغير معنى اللفظ من لهجة إلى أخرى. تطور أصوات بعض الكلمات تطورًا يجعلها مطابقة في أصواتها لكلمة أخرى تختلف في معناها عنها[٣].

وما يهمنا هنا هو أن المستخدم للغة لا يعي أن هذه الألفاظ اشتركت لتلك الأسباب المذكورة، لأنه يستخدمها استخدامًا وظيفيًّا لا يتعدى إلى تأمل الألفاظ وعلاقاتها. واستخدامه

---

[١] قال الباحث إنه أجرى إحصاء لألفاظ السيف في الديوانين، وقد أورد نتائج إحصاءاته. (لعيبي الترادف في اللغة، ص ١٣٠-١٣٤) ويشهد لغياب الفرق بين هذه الصفات عند العربي ظهور الحاجة إلى تفسيرها وشرحها؛ فقد صنف أبو عبيد (كتاب السلاح)، وفسر تلك الألفاظ التي تستخدم بمعنى (سيف) نقلا عن الأصمعي. انظر: (أبو عبيد، كتاب السلاح، ص ١٧).

[٢] وقد يوهم وجود المادة في اللغة أن الدخيل أصيل، من ذلك ما وقع للشيخ أحمد رضا إذ قال في مادة (ش/ن/ص): "وقالوا الشنص للحظ والطالع السعد أو النحس. وأصل المادة في العربية التعلق واللزوم. وفي متن اللغة شنص يشنص شنوصًا: تعلق بالشيء. وشنص شنصًا به: سدك به ولزمه. وطالع الإنسان من السعود والنحوس ملازم له لا يفارقه ولا ينفك عنه" (رضا، قاموس رد العامي إلى الفصيح، ص ٣١٥). والصواب أن هذا من الدخيل فهي في الإنجليزية (Chance).

[٣] أنيس، في اللهجات العربية، ص ١٩٢- ٢٠١.

الوظيفي هو الذي جعل الدلالة المجازية تتخلف.

ومن قبيل الاستخدام الوظيفي استخدامنا للأعلام فهي في الغالب ألفاظ نقلت من أصولها وجعلت ذات محتوى جديد وهو التعبير عن الأفراد، فعند استخدامنا للأعلام لا نلتفت إلى صفة الحمد في (محمد) أو معنى الفضل في (فضل)، وننسى أن (يزيد، ويعيش) فعلان في الأصل، لأننا نستخدم تلك الأعلام استخدامًا وظيفيًّا هو أن نستحضر إلى الذهن فردًا معهودًا، ثم إنه قد يغيب عن الذهن أصل التسمية، حتى قيل إن الأسماء لا تعلّل، والأسماء قد لا تعلّل علاقتها بأصلها إذ قد تكون علاقة اعتباطية كعلاقة الاسم - غير العلم- بالمسمى، ولكن ذلك لا يحول دون معرفة الأصل اللغوي الذي أخذ عنه العلم. ومثال الأعلام التي نستخدمها دون تفكير في أصولها أو دون معرفة لأصولها كثير من أسماء العائلات مثل: (العثيمين)، (العثيم)، (العليوي)، (الشوشان)، (الصليع)، فإذا تأملنا هذه الأعلام وجدنا أن: (العثيمين) مؤلفة من (أل التعريف[1]) ومصغر لهجي لـ(عثمان)، ومثله (العثيم) فهو مصغر ترخيمي لـ(عثمان). أما (العليوي) فهو من ألفاظ التصغير اللهجية التي تطلق للتلميح أو التحقير عند نداء (علي)، أما (الشوشان) فهو لقب أطلق على جد العائلة وهو صغير فلعله كان ذا شوشة كبيرة، فنودي بـ(شوشان) أي: (ذي الشوشة) أو صاحب الشوشة، لأن الزائدة (ان) قد تعني (صاحب)، أما الشوشة فهي في لهجة القصيم (نجد) شعر الرأس الكثّ. أما (الصليع) فهو لقب له وهو صغير إذ لعله كان لا يلبس ما يستر رأسه فهو دائمًا حاسر الرأس أي (أصلع)، وهذا معنى اللفظ في لهجة القصيم، ويدل بناء الصفة على (فْعِيل أي: فُعَيل) على المبالغة.

---

[1] هناك من يذهب إلى أن (ال) هذه هي (آل) التي قد تسبق بعض أسماء الأسر مثل (آل سعود، آل ثاني، آل نهيّان) وهي تعني أهل أو أقارب. والأحرى بالصواب كونها معرفة، وتفسير ذلك أن الأصل في العلم أن يكون خاصًّا بفرد دون غيره ولكن ذلك غير متحقق عمليًّا، لما في ذلك من إرهاق لذاكرة الإنسان، ولأسباب أخرى ليس هنا مجال تفصيلها، من أجل ذلك قد ينصرف العلم إلى أكثر من شخص، فينتقض شرطه وهو العهدية الفردية، وحينئذ يلجأ إلى وصف العلم فيقال مثلا: (محمد بن عبد الله) وتتعدد النعوت حتى تزول شبهة الاشتراك وتتحقق الفرادة، وثمة طريق أخرى للتعريف وذلك بإدخال (آل) المعرفة على اسم الأب لتحقيق العهدية لاسم الأب ومن ثم الفرادة لاسم الابن، مثل: (محمد العبد الله)، وقد يرد على ذلك أن (ال) تدخل على العلم والعلم معرفة لا تدخل عليه (ال) المعرّفة وجواب ذلك أن العلم يفقد تعريفه إذا فقد فرادته أو عهديته فينقل إلى الوصفية فقولنا: (محمد العبد الله) يعني (محمد المضاف إلى العائلة المسماة بعبد الله) هذا في مقابل إضافته إلى آخرين نحو: محمد الصالح، محمد البدر. كأننا نقول: محمدنا، محمدهم. وإضافة الاسم إلى الضمير شائع الاستخدام في اللهجات المحلية مما يؤيد ما نذهب إليه من تفسير: فمعنى محمدنا: الشخص المسمّى محمد منا. فالعلم لا يضاف حتى يخرج إلى دائرة التنكير، وهو يخرج إلى هذه الدائرة عند تثنيته، وجمعه، ويحتاج لتعريفه إلى إدخال (آل) المعرفة، فيقال (المحمدان، المحمدون).

ثالثا : مستوى التركيب

نجد في اللغة عددا من التراكيب التي تستخدم استخدامًا وظيفيًّا من ذلك: (لا بدَّ، لا محالة، لا جرم، لا شكَّ، لا مندوحة، لا سيّما، حبذا، كذلك). فهذه التراكيب لا تدل أجزاؤها على أجزاء المعنى بل تدل مجتمعة مركبة على معنى كلّيّ، ولو رحت تعوض عن هذه الأجزاء بمعانيها لفسد التركيب. ولست تستطيع أن تستبدل ببعض هذه الأجزاء مرادفًا له، وهناك ميل إلى عدِّها من حيث الرسم كلمة واحدة بحيث لا يفصل بين أجزائها ولا يقع أحد جزأيها في سطر والآخر في سطر.

إن المستخدم للغة حين يقول: (لابد أن أذهب) لا يريد أن يخبرنا بأنه لا فراق من ذهابه، لكنه يريد تأكيد ذهابه، ومعنى ذلك أن المركب (لابد) ما هو إلا أداة توكيد.

وقال ابن قتيبة عن (لا جرم): "قال الفراء هي بمَنْزلة لابد، ولا محالة، ثم كثرت في الكلام حتى صارت بمَنْزلة حقًّا"[١]. وهذا هو معناها الوظيفي.

ولا يهتم المستخدم العادي لتفاصيل معنى المركب (لاسيّما) بل لعله لا يدركها فـ(سِيّ) بمعنى مثل[٢]، ولذلك حين وردت في قول امرئ القيس:

ألا رُبَّ يومٍ صالحٍ لكَ مِنهُما ولا سِيَّما يومًا بدارةِ جُلجُلِ

فسرت بها، جاء في الخزانة: "تقديره لا مثل الذي هو يوم، أو لا مثل شيء هو يوم"[٣].

وقد بلغ إحساسهم قوة تركب (حبّذا) وأنها تؤدي بتركيبها هذا معنى كليًّا، درجة جعلتهم يذهبون إلى أنهما جزء واحد، قال أبو علي: "زعموا أن الفعل في (حبّذا) مبني على الاسم وأنهما جميعًا بمَنْزلة شيء واحد"[٤].

---

[١] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٥٥٠.

[٢] أبو بكر الأنباري، الزاهر، ١: ٦٠٠، وفسر السيّان بالمثلين. وما تزال تستخدم في اللهجة المصرية، ولكن مع تغير بسيط في الصوت حيث جهرت السين: سي ← زي. جاء في (معجم الألفاظ العامية) لعبد المنعم سيد عبد العال: "فلان زي فلان: شبيه بفلان: وهي لفظة فصحى تأتي أحيانًا بالسين وأحيانًا بالزاي والمعنى واحد، ففي القاموس: نقول: لاسي لمن فعل ذلك: أي لا شبيه، وليست المرأة لك بسي: أي مشابه، وسي كزي: مستو متشابه" (مادة زي). يسألون بقولهم (إزيّك اليوم؟)، بمعنى أي: زيّك اليوم؟ أي: كيف حالك اليوم؟ فيجيب: (زيّ مبارح)، أي: حالي مثل حالي أمس، أو (زي الحصان)، و(إزّي) في السؤال مختلفة بعض الاختلاف إذ هي من مادة مختلفة بعض الاختلاف إذ هي من مادة مختلفة وهي (ز و ا)، ومنها الزي أي: اللباس والهيئة ونقلت للدلالة على الحال، فأصبحت ذات دلالة وظيفية بعد إدغام (أي) معها وهي معنى (كيف حالك)، على نحو ما ورد في السؤال السابق.

[٣] البغدادي، خزانة الأدب، ٣: ٤٤٦- ٤٤٧.

[٤] أبو علي الفارسي، المسائل البغداديات، ص ٢٠١. والفارسي ينكر هذا التركيب فبعد أن ناقش آراءهم قال "فكذلك (حبذا) لا يجب أن يكون مبنيا وإن لم يفصل بينهما"، السابق، ص ٢٠٤.

وقد اختلف النحويون في تحليل هذا التركيب اختلافًا كبيرًا، فمنهم من ذهب إلى أنه صار بالتركيب فعلاً. ومنهم من يعده اسمًا، ومنهم من يعربه مع تركبه فعلاً وفاعلاً[١]. ولا يهمّنا هنا الخلاف في إعراب التركيب بل الذي يهمّنا أن التركيب قد عومل معاملة تختلف عن أصوله التي يرتد إليها منذ أن صار له استخدام وظيفي غادر بسببه ذلك الأصل[٢]، فحبذا صارت كأداة للمدح، لذلك جمدت على بناء واحد فلا تطابق الممدوح في عدده أو جنسه. ولشدة هذا التركيب توهم بعض الناس أنهما كلمة واحدة ترتد إلى أصل ثلاثي (ح ب ذ)، فأخذ منها الفعل الماضي والمضارع، (حبّذ، يحبّذ).

أما (كذلك) فهي مركبة من كاف التشبيه واسم الإشارة (ذلك)، ولكن الملاحظ أنها قد وردت في النصوص القديمة كالقرآن دون أن تردف بمشار إليه، حتى إن المفسرين يلجأون إلى تقدير المشار إليه اعتمادًا على فهمهم لوظيفة اسم الإشارة العامة. والمتأمل لهذا التركيب يحس أنه صار ذا دلالة وظيفية تختلف عن دلالتي عنصريه. أما في العربية المعاصرة فهو يستخدم بمعنى (أيضًا). مثال ذلك قولك: (وأنا كذلك لا أريد الذهاب)، وهذا النص: "كذلك تؤيد دراسة أثر السن في تمييز الألوان فكرة البدء بتمييز اللون قبل إطلاق اسم عليه"[٣]. ويماثل هذا التركيب تركيب آخر هو (كما) فهو يعني في اللغة المعاصرة (أيضًا)، مثال ذلك هذا النص: "فسعيت إلى المخطوطات التي قد تسعف في الموضوع، كما سعيت ألتمس موادّ كانت أعدت للطبع وموادّ لم تطبع في (مجمع اللغة العربية)"[٤].

ومن التراكيب ذات الاستخدام الوظيفي في العربية المعاصرة التركيب (هكذا) فهو يستخدم في سياق الاستنتاج. مثال ذلك هذا النص: "لقد رأينا طاغور الأب يجعل للشعور القلبي نصيبًا كبيرًا في الإيمان، فلم تكن فلسفته عقلية خالصة، وهكذا نرى طاغور في إحساسه العميق بالطبيعة يكتسب منذ صباه إيمانًا شعريًّا يتغلغل في أعماقه، ويملأ قلبه بحب الحياة"[٥].

---

[١] شدّد ابن مالك على أن التركيب لم يذهب بفعلية (حبّ) فتكون مع (ذا) مبتدأ، ولم يذهب باسمية (ذا) فتكون مع (حبّ) فعلاً فاعله المخصوص بالمدح. (ابن مالك، تسهيل الفوائد، ص ١٢٩). وانظر في مذاهب إعرابها (ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ٢/١٢١- ١٢٢).

[٢] يقول نهاد الموسى عن هذا التركيب بعد إشارته إلى خلاف النحويين: "ويبدو: لنا، واضحًا، على اختلاف الرأي، أن حبّذا مركب من الفعل والاسم ما يزال واضحًا فيه عنصرا التركيب وأنه اتخذ دلالة مختلفة جديدة عن الدلالة الجزئية لكل من حبّ وذا. وهذا شأن التركيب في عرَضه وجوهره!)) (الموسى، النحت في اللغة العربية، ص ١٢٤.

[٣] عمر، اللغة واللون، ص ٢٠.

[٤] الموسى، النحت في اللغة العربية، ص ١٣.

[٥] عيّاد، طاغور، ص ١٧.

الاستخدام الوظيفي في الأمثال والكنايات

لقد أحس علماؤنا الأوائل أن الناس قد يستخدمون ألفاظًا وتراكيب استخدامًا وظيفيًّا ؛ ولذلك فهم لا يعرفون معنى ما يستخدمون فهذا أبو طالب المفضّل بن سلمة بن عاصم يؤلف كتاب (الفاخر)، وهو يقول في مقدمته: "هذا كتاب معاني ما يجري على ألسن العامة في أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يدرون معنى ما يتكلمون به من ذلك، فبيناه من وجهه على اختلاف العلماء في تفسيره ؛ ليكون من نظر في هذا الكتاب عالمًا بما يجري من لفظه ويدور في كلامه"[١].

وكثير من التراكيب التي فسرها المفضل ما تزال متداولة بيننا إلى اليوم، وسوف نذكر هنا بعضًا منها مع إيجاز في ذكر تفسيرها، ومن شاء التوسع فليعد إلى مواضعها من (الفاخر). من ذلك قولهم: (بالرفاء والبنين)، "يقال ذلك عند التزويج. والرفاء: الاتفاق والالتئام. وهو مأخوذ من رفأت الثوب أرفؤه إذا لأمت بينه وضممت بعضه إلى بعض"[٢]. وقولهم: (وقع في ورطة)، و"الورطة: الوحل والردغة يقع فيها الغنم ولا تقدر على التخلص، يقال: تورطت الغنم إذا وقعت في الورطة، ثم ضرب مثلا لكل شدة وقع فيها الإنسان"[٣]. وقولهم: (عيل صبره)، و"معناه غُلب، يقال: عاله الأمر أي غلبه"[٤]. وقولهم: (جاء بالعويص)، "أي بالكلام الذي لا يفهم. وأصله المتعقد من الشعر"[٥]. وقولهم: (فلان نسيج وحده)، "أي ليس له شأن. كأنه ثوب نسج على حدته ليس معه غيره"[٦]. وقولهم: (أمر مبهم)، "قال الأصمعي: هو الذي لا يدري كيف يتجه له ولا أين سبيله. وهو مأخوذ من قولهم: حائط مبهم إذا لم يكن فيه باب ولا كوة"[٧]. وقولهم: (لله درك)، "قال الأصمعي وغيره: أصل ذلك أنه كان إذا حمد فعل الرجل وما يجيء منه، قيل: لله درك، أي: ما يجيء منك بمنْزلة درّ الناقة والشاة. ثم كثر في كلامهم حتى جعلوه لكل ما يتعجب منه"[٨]. وقولهم: (فلان جيد القريحة)، "أي الاستخراج. وهو مأخوذ من قولهم:

---

[١] ابن عصام، الفاخر، ص ١.

[٢] ابن عصام، الفاخر، ص ١٣.

[٣] ابن عصام، الفاخر، ص ١٨.

[٤] ابن عاصم، الفاخر، ص ١١١، ٢١.

[٥] ابن عاصم، الفاخر، ص ٢٧.

[٦] ابن عصام، الفاخر، ص ٤٠.

[٧] ابن عصام، الفاخر، ص ٥٠.

[٨] ابن عصام، الفاخر، ص ٥٥.

قرحت بئرًا واقترحت إذا حفرت في موضع لا يوجد فيه الماء فأنبطت ماء"[١]. وإلى هذا الأصل ترد اقترح الفكرة، وهو يقترح. وقولهم: (فلان باقعة)، و"أصل الباقعة: الطائر الحذر الذي يشرب من البقاع، وهي المواضع التي يستنقع فيها الماء، ولا يرد المشارع والمياه المحضورة فيصطاد. فضرب به المثل لكل حذر محتال"[٢]. وقولهم: (نغصت علي)، "قال الأصمعي: التنغيص: قطع الشيء قبل الفراغ منه"[٣]. وقولهم: (إنما هو همج)، "والهمج: ذباب صغير يقع على وجوه الغنم والحمير وأعينها، وهو واحد وجمع"[٤]. وينسب إليه في اللغة المعاصرة فيقال همجيّ. وقولهم: (داريت فلانًا)، "أي خاتلته وخدعته. وأصل ذلك من قولهم دريت الصيد أدريه إذا ختلته حتى تصيده"[٥]. ولست أعلم لم قال المخاتلة ولم يقل الملاينة وحسن معاملة الناس.[٦]. وإن من مداراة الناس وحسن معاملتهم أن (تتهلّل أساريرك) عند لقائهم. وتهلّل الأسارير هو ما يحدث عند البشاشة والابتسام من تقوس خطوط الجبهة حتى تكون كالأهلة.

لقد ورثنا استخدام هذه الكناية: (أخذت الشيء برمته)، لكن المستخدم اليوم لا يعرف، وربما لا يعنيه أن يعرف، أن معنى كلمة (رُمّة) حبل؛ لأن ذلك لا يخل في استخدامه للتركيب. ولو سألت عن المعنى لقال أي: أخذت الشيء كله، وهذا هو المعنى الوظيفي، أما المعنى الأساسيّ فمختلف قال الأنباري: "والرُّمَّة قطعة حبل يشد في رجل الجمل أو في عنقه. فيقال أخذت الجمل برمته، أي بالحبل المشدود به، ثم استعمل في غير هذا"[٧].

ومثله: (أخذت الشيء بحذافيره)، فما هي الحذافير؟ وهل تستخدم عندنا في غير هذا التركيب؟ المعنى الوظيفي واضح في المعاجم أما المعنى الأصلي فليس بذلك الوضوح، فالمعاني التي تقابل اللفظ هي: جوانب الشيء أو أعاليه[٨]. ولا أعلم أنها ترد اليوم في غير هذا التركيب.

---

[١] ابن عصام، الفاخر، ص ٢١٥.

[٢] ابن عاصم، الفاخر، ص ٢٩٠.

[٣] ابن عاصم، الفاخر، ص ٢٩٣.

[٤] ابن عاصم، الفاخر، ص ٣٠٨.

[٥] ابن عاصم، الفاخر، ص ٣١٠.

[٦] مداراة الناس هي المداجاة والملاينة (الجوهري، الصحاح: ٦: ٢٣٣٥، دري)، ومداراة الناس ملاينتهم وحسن صحبتهم واحتمالهم لئلا ينفروا عنك. (ابن منظور، لسان العرب، مادة: دري) هذه هي المعاني الوظيفية للكلمة، أما المعنى الأصل فهو ما أشار إليه المفضل، ولا يمكن القول إن العلاقة بين المعنيين علاقة ما بين الحقيقة والمجاز لأن الصلة بينهما منسية أو غير ملتفت إليها وقت الاستخدام، بخلاف المجاز الذي يستحضر حقيقته عند استخدامه.

[٧] الأنباري، الزاهر، ص ١: ٤٦٦.

[٨] ابن عاصم، الفاخر، ص ١٠٦، ابن منظور: مادة: حذفر.

ويقولون في نجد: (الغشيم يدخلك الذرة). ومضى زمن كنت أتساءل عن صلة الذرة بالغشيم، ولماذا يدخل الإنسان فيها. أعرف وظيفة هذا التركيب ولكني لم أهتد إلى من يفسر لي علاقاتها الداخلية، فكل ما عرفته أنها تقال عند الحديث عن الرجل يتصف بتلك الصفة، ففلان غشيم، ويردفون ذلك بقولهم: (والغشيم يدخلك الذرة). ثم سمعت كناية أخرى أنارت هذه، وهي قولهم: (دخل الذرة) كناية عن الخوف. فالذي يخاف يتوارى في الذرة يحتجب بسوقها. إذن فـ(الغشيم يدخلك الذرة) تعني أن الغشيم يجعلك تدخل الذرة، أي الغشيم يخيفك. أما لماذا يخيف؟ فلأنه أخرق أحمق لا تؤمن بوائقه، ولا تعلم متى يأتي ما يسوؤك، والعرب تقول: عدوّ عاقل خير من صديق جاهل. والجهل هنا الحمق والخرق.

ويقولون: (شاف النجوم في عز الظهر)، فما معنى رؤية الإنسان للنجوم في عز الظهر؟ كيف يصبح بصره حديدًا بسبب مشكلة تعتامه أو أمر يمضه؟ لعل المستخدم أول مرة أراد أن الدنيا أظلمت في عينيه حتى أمكنه؛ لذلك، أن يرى النجوم في عز الظهر، وهذا على سبيل المجاز الذي استخدم بعد ذلك حتى نسيت مناسبته فصار ذا دلالة وظيفية وهي الدلالة على الكرب. وهذا الاستخدام قديم في التراث العربي، قال المفضّل بن سلمة شارحًا (قولهم: لأرينك الكواكب بالنهار): "أي لألقينك في شدة يظلم عليك النهار لها حتى ترى الكواكب. إنما هذا مثل في الشدّة. وقال طرفة بن العبد:

إن تنوله فقد تمنعه   وتريه النجم يجري بالظهر"[1]

وفي الكناية المصرية يقولون: (راح وأفاه يَئَمَّر عيش)، أي: راح وقفاه يُجمِّر[2] عيشًا. وهو كناية عن الضرب الشديد بغض الطرف عن موقعه من جسد المضروب. أما المعنى فهو أنه ضُرب على قفاه ضربًا شديدًا احمرّ له قفاه احمرارًا يمكن معه، لمن أراد، أن يجمّر عليه العيش (= الخبز)؛ فقفاه حار من الضرب محمر احمرارًا يشوى الخبز. وقد يستخدم للدلالة على خائب الأمل خيبة المضروب على قفاه.

من لوازم التعزية قولنا: (تغمده الله برحمته). ومعناه الوظيفي رحمه الله، أما في الأصل فإن الغمد هو غمد السيف، فالدعاء هو أن يجعل الله رحمته للميت كالغمد للسيف محيطة به حافظة له

---

[1] ابن عاصم، الفاخر، ص ١١٣.

[2] يقال في مصر: "أمّر فلان الرغيف: سخنه على جمر النار ليلين وتنْضمّ أجزاؤه بعضها إلى بعض. والأصل فيها جمّر، وأبدلت الجيم همزة فكلاهما من حروف الشدة" (عبد العال، معجم الألفاظ العامية، مادة: أمر الرغيف). والفعل مرّ بتحولات صوتية في لهجة القاهرة، إذ نطقت الجيم قافًا ثم نسي أصلها حتى ظن أنها قاف فنطقت همزة: يجمر ← **يـگـمر** ← يئمر. ومثلها الكلمة: يهرج ← **يهرگ** ← يهرأ.

مشتملة عليه. ولا يستبعد أن المستخدم لهذا التركيب أول مرة كان يذهب إلى أبعد من ذلك، بتشبيه الميت بالسيف، فقد يكون الميت المقصود حاكمًا أو بطلاً عزيزًا.

ويكني أهل نجد عن الضعيف جسديًّا أو معنويًّا بقولهم: (ما يرمح السفيفة)، جاء في (لسان العرب): "قال أبو منصور: سففت الخوص، بغير ألف، معروفة صحيحة؛ ومنه قيل لتصدير الرحل سفيف لأنه معترض كسفيف الخوص...والسفيفة بطان[١]عريض يُشد به الرحل"[٢]. والسفيفة عند أهل نجد وبادية الجزيرة هي أهداب مسفوفة على هيئة ضفائر تتدلى من نهاية (المزودة)، والغرض منها الزينة، فهي تتحرك لحركة البعير ونشاطه. فالأصل في هذا على ضوء ما نقلناه من معنى (السفيفة) أنه يكنى به عن ضعف الجمل فهو إذا ضعفت منّته أمست حركته بطيئة فلا يمس بقوائمه سفيفته، أما إن كان قويًّا نشيطًا مسرعًا فإنه يضرب سفيفته أو يرمحها، وقد يكون لسمنه وهزاله اتصال بذلك فسمنه يؤدي إلى احتكاك فخذه بالسفيفة. وقد شبه به الرجل الضعيف، وكثر الاستعمال حتى نسي التشبيه بالجمل. ويكنون عن ضعف التحمل بقولهم (ما يواطن) يقولون: (فلان ما يواطن الشغل) أي: لا يتحمله وهو له كاره، وأصله من المواطنة وهو مشاركة شخص في وطن واحد. ومثله (ما يوادي) جاء في المثل: (ما يوادي الصفير)، "أي: لا يألفه، أو لا يطيق الصبر عليه. كأنهم أخذوها في الأصل من: وادى الرجل، أي: نزل معه في واد واحد. وبعضهم يأتي بكلمة (يواطن) بدل كلمة (يوادي) ومعناها معنى كلمة يوادي نفسه أخذوها في الأصل من (واطنه) بمعنى عاش معه في وطن واحد. يضرب للجبان. وأصله مثل عربي قديم لفظه (جبان ما يلوي على الصفير)"[٣].

ويكني أهل الشام عن الضعف وعدم القدرة بقولهم: (ما فيني) مثال: (ما فيني أشتري سيارة). أي: لا أستطيع ذلك. وأصل الاستخدام: ما فيني قدرة على شراء سيارة.

ويكني المصريون عن كثرة الشيء بقولهم: (على أفا من يشيل)، والمعنى أن الشيء كثير مبذول، وإنما التعب والمشقة على قفا من يحمل الشيء.

ويعبر عن الكثرة في الكويت بقولهم: (على بيزة)، و(البيزة) من عملة قديمة بطل استخدامها ذات قيمة زهيدة، ولا يكون الشيء زهيد الثمن إلا حين يكثر فتكون الوحدة منه على بيزة.

---

[١] لعل البطان سمي سفيفة لأنه يكون مسفوفًا لجعله قويًّا، وعريضًا يلتصق ببطن الجمل ولا يؤذيه. وقد ورد اللفظ مع شيء من التغير في اللفظ والمعنى في لهجة الموصل: "سفيفي= شريط من الجلد أو القماش أو الحديد أو غيره. لا يتجاوز عرضه عرض الإصبعين". انظر: (البكري، دراسات في الألفاظ العامية الموصلية، ص ٢٦٨).

[٢] ابن منظور، لسان العرب، مادة: سفف.

[٣] العبودي، الأمثال العامية في نجد، ١٤: ١٣١٠.

يقولون: (السمك اليوم على بيزة) أي: كثير. وقريب منه تعبيرهم عن حقارة الشيء بقولهم: (ما يسوى فلس)[١]. (ما يسوى فص بصل). وفي نجد يقولون: (ما يسوى كعب)[٢].

ويقول أهل نجد: (على هُونك)، أي: تمهل، ويقابلها في الكويت: (على كيفك)، والأخيرة تعني، في نجد: أنت حر، ومثلها: (على هواك). ويقول أهل الشام (على هوى ما سمعت)، أي: حسب ما سمعت، ويقولون: (على هوى ما فهمت)، أي: حسب ما فهمت.

ويكنون في نجد عن القدم بقولهم: (مْنَوَّل) أي: مِنْ أوَّل، (وينَ الدنيا وينَ اهَلَه)[٣]أي: أين تلك الدنيا وأين أهلها، كناية عن بُعد العهد بها. والدنيا: الزمن. وأما(يا عَوِين)، فكناية عن قدم العهد قدمًا يطلب عون الله على تذكره، ومثلها (الله المِستعان) وقد تستخدم كناية عن أمور أخرى غير القدم، وذلك عند إرادة طمأنة المخاطب على حرص المتكلم أو المتحدث عنه مثال ذلك أن يقول أحدهم: لا تنس موعدَنا. فيجيبه الآخر: الله المستعان. أي: اطمئن فأنا حريص. ويقولون في الكويت معبرين عن القدم: (هذا الشيء من سْنِين سِكْتَو)، أي: هو من سنين عديدة فاسكتوا عن عدّها لعجزكم عن إحصاء ذلك، ويقال للدلالة على قدم الشيء وإن لم يتجاوز ذلك، السنة. ومن التعبير عن البكور قولهم في الكويت: (توَّ الناس)، والتوُّ هو الوقت. تقال للضيف يهم بالانصراف. وتستخدم كلما أرادوا القول: الوقت مبكر، مثل: توَّ الناس على الطائرة، أي: الوقت مبكر على وصولها.

ويكنى أهل نجد عن الانشغال بقولهم: (ما يَمْغَطِ ظْهَرُه)، أي هو منشغل إلى درجة لا يستطيع معها أن يمغط ظهره، ويمغط ظهره كناية عن الاستلقاء لراحة الجسد كلِّه، خاصة الظهر، الذي هو أكثر المناطق إحساسًا بالتعب. ويشبه هذا قولهم: (ما يحِكْ راسُه): وحين يشغل اللعب الصبي عن قضاء حاجات أهله يقولون: (اللِّعْبْ سابْعُه). أي قد ملك عليه نفسه، ولعله مأخوذ

---

[١] جاء في مسرحية (الدكتور صنهات) قوله وهو يحاور زوجته: "آخ منكم يا الحريم ألسنتكم ها الطول على ريايلكم وتخافون من زهيوي [= صرصار]. زهيوي يخوفكم؟ والله محد [= ما أحد] مسوي شخصية حق الزهيوي إلا أنتو يا الحريم، وإلا الزهيوي شنو؟ إلا زهيوي ما يسوى فلس".

[٢] و"الكعب: واحد الكعاب التي يلعب بها الصبيان وهو العظم الناتئ في جانب القدم عند ملتقى الساق بالقدم. وهو فصيح وجمعه في الفصحى، كعاب مثل العامية. وهو قديم للعامة. قال الجاحظ: تقول العامة (ما يسوى فلان كعبًا أعسر)، (وإنما بنو فلان كعاب عسر)" (العبودي، الأمثال العامية في نجد، ص ١٢٩٠). والعامة في (نجد) يجمعون الكعب أيضا على (كعابة)، في المثل: (الغليبة شينة ولو في لعب الكعابة). وعلى (كعوب)، وشاهده ورود المثل السابق على هذا النحو: (الغليبة شينه ولو على لعب الكعوب) (الجهيمان، الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب، ٥: ٣٣).

[٣] ورد عند العبودي بصيغة مخالفة لنطق لهجة القصيم، وقال: "أي: أين الدنيا وأين أهلها؟ يضرب لمضي الوقت، وتباعد الزمن وتغير الحال، وهو موجود بلفظه عند البغداديين" (العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٤: ١٥٧٤).

من لفظ (السبع)، فاللعب قد تملكه تملك السبع فريسته.

ويقولون: (قْبُلُه)، ولها أكثر من معنى وظيفي فهي بمعنى (دائمًا) وبمعنى (فورًا)، مثل: هو قبله يشتغل، أي: هو دائمًا يشتغل. و(سافَرْ قْبُلُه)، أي سافر فورًا.

ويشابه هذا في السودان: (بْوُشُّو) أي: بوجهه، جاء في (قاموس اللهجة العامية في السودان): "قالت الشاقية: حلالي يا السايق الْبُله بوشّو، أي: على طول. من أمثالهم (س) الْحَفَظَ اللسان بْوُشُّو في أمان. أي: دائمًا"[١].

ويكنون في الكويت عن الإرباك الناتج عن الاستعجال فيقولون: (علامِكَ اخَذْتِنا بِشْراعُ اومِيداف) أي: بشراع ومجداف. أي أنك أسرعت في دفع المركب بالجمع بين دفع الشراع ودفع المجداف، والمعنى الوظيفي: علامك أخذتنا بسرعتك وقوتك في الكلام أخذًا مربكًا[٢].

ويكني المصريون عن الغفلة بقولهم: (نايم عَلَ وْدانه)، أي: نائم على أذنيه . كأن النوم على الأذنين - وهذا لا يحدث- يمنع الإنسان من السمع وهذه علة لغفلته عن الأمور المهّمة حوله. ومثلها (وَانْتَ وَلَ هناك)، أي: لا أنت هنا ولا أنت هناك، وهذا سبب لعدم العلم بالأمور، فيكنى بذلك عن غفلة الشخص.

ويصفون الثرثار المتطاول بأنه: (مسحوبْ مِلِّسانُو)، أي: مَسْحوبٌ مِن لِسانِه، وكأنهم يعتقدون أن ثمة علاقة بين طول اللسان وكثرة الكلام؛ ذلك أنهم يصفون المتطاول بالكلام بطول اللسان، والسحب إنما هو علة للطول المفضي للثرثرة، فكأن الصبي قد سحبته (الداية) عند ولادته بجرّه من لسانه الطري فاستطال[٣].

والكناية أو المثل يكون له مناسبة أولى ولكنه مع الزمن يتخلّى عن تلك الخصوصية ويصير ذا دلالة وظيفية، من ذلك الكناية المصرية: (أللى اختشوا ماتوا)، يقال هذا عن الشخص لا يستحي، ولكن الأصل في ظهور هذا التعبير، كما روي لي، أن حريقًا شبّ في بيت للطالبات في القاهرة وكانت بعض الطالبات في الحمامات فمنهن من خرجت فأنقذت نفسها ومنهن من غلبها الحياء وخافت من الخروج من غير ملابس فماتت، فقيل: (اللي اختشوا ماتوا). ونسيت الحادثة، وبقي

---

[١] قاسم، قاموس اللهجة العامية في السودان، مادة: وش.

[٢] يقدم تيمور تفسيرًا آخر للكناية، يقول: "كان لسانه من طوله أصبح كالحبل الذي تجر به الدابة". الكنايات العامية ٦١هـ. وأحسب أن المعنى هو كما في الكناية الأخرى: (زي اللي الداية جراه من لسانه)، انظر: (تيمور، ١٩٧٠ : ٣١).

[٣] جاء في (الأمثال الكويتية المقارنة) عند الكلام على المثل. (ماخذه بشراع وميداف) قوله: "ويقال بمعنى أن إنسانًا ضيّق وسدّ عليه الطريق- أو غلب محدثه بقوة الحديث مثلما يدفع الملاح السفينة بالشراع والمجداف" (الرومي وكمال، ١ : ٤٥٩). والنص عند (عبد الله النوري، الأمثال الدارجة في الكويت،١ : ١٦) : اخذهم بشراع وميداف.

التركيب، فيقال: (صحيح اللي اختشوا ماتوا). أي: لم يبق من الأحياء من يردعه حياؤه عن الخطأ.

الاستخدام الوظيفي والتغير اللغوي

وضع بعض التراكيب ليؤدي دلالة وضعية معنية، ولكن كثرة استخدامها في ظرف بعينه جعل بين التركيب والظرف تلازمًا وظيفيًّا. مثال ذلك الأدعية في الصباح والمساء. نلتقي في الصباح فنتبادل (صباح الخير)، تعود كلّ منّا أن يقول ذلك ويسمع، ليس في ذهن أحدنا أن يدعو للآخر بأن يكون صباحه صباح خير، فالقضية لا تعدو التعبير عن حاجة اتصالية، جسر نمده إلى الآخر وبالجملة هي مصافحة لغوية قد تنوب عن مصافحة الأيدي واتصالها، وقد توازيها. وفي المساء (مساء الخير) وهو مركب تكرر استخدامه حتى أصابه لون من ألوان التغير اللغوي وهو التآكل والحذف لبعض أجزائه، والإنسان يميل إلى حذف بعض ما يكثر استخدامه تخفيفًا على لسانه؛ لأن هذه المكررات صارت مثل الحروف والأدوات ذات الطبيعة الموجزة المختصرة. تسمع في الخليج (الله بالخير)، حذفوا (مَسّاك). وفي مصر نسمع (سلخير)، لم يبق من المساء سوى السين المتشبثة بالخير، وفي القصيم (نجد)، لم يبق من مساك الله بالخير سوى (بالخير) وهذا لا يعني أن الأصول غير مستخدمة.

ومن هذه المسكوكات المتآكلة لشدة ارتباطها بمعنى وظيفي الأسئلة: (وشوّ؟)، (وشْبك؟)، (وراك؟) في القصيم و(أراك؟) في سدير. ويتبين التغير اللغوي بردها إلى أصولها: وشوّ(وأيّ شيء هو) فقد اختزل التركيب بانتخاب الحروف الأساسية: الواو+الشين من شيء+الواو من هو. وشبك (وأي شيء بك)، وفي الشام (أيش، شو)، قال الشيخ أحمد رضا: "أيش كلمة استفهام استعملت قديمًا وما زالت. وليس ذلك بغريب عن كلام العرب وربما كانت مستعملة عندهم زمن الفصاحة وهي مختزلة من أي شيء (الاستفهامية). وقد اختزلت العامة فيها مع زيادة في الجملة المختزلة فقالت في أي شيء هو هذا، شو هذا، بل زادوا في الاختزال فجعلوا الشين وحدها من هذه الجملة حرف الاستفهام فقالوا: شمعنى (بإسكان الشين وفتح الميم وإسكان العين وفتح النون). أي أي شيء هو المعنى"[1].

أما (وراك، أراك) فدلالتهما الوظيفية هي دلالة (لماذا). مثل: وراك تأخرت؟ أي: لماذا تأخرت؟ وهما من الأصل (وما وراءك). و(لماذا) التي هي بمعناهما ليست أداة بسيطة بل هي مركبة من حرف الجر (اللام)، و(ما) الاستفهامية واسم الإشارة (ذا)، والأصل: لأي شيء ذا؟ ولعله في

---

[1] رضا، قاموس ردّ العامي إلى الفصيح، مادة: (أ/ي/ش).

الأصل كان يسأل بها عن الأسماء فيقال: لماذا الذهاب؟ أي: لأي شيء هذا الذهاب؟ ولكن استخدامًا وظيفيًّا وهو السؤال عن العلة جعلها غير ذات ارتباط برديف معين؛ بل جاءت بعدها الأفعال على نحو مجيء الأسماءِ، فيقال: لماذا ذهبت؟

وترد (وراء) في تركيب آخر فيقولون: (ما ورا ما صِبَرْنا) أي: ما وراء صبرنا صبر. ودلالتها الوظيفية: (حسبنا)، ويقال: (ما ورا بهم)، وهي مركبة من: ما+وراء+بـ. ودلالتها الوظيفية: (حسب). فـ (ما ورا بهم) تعني: حسبهم.

ومن التراكيب التي نالها التغير بالحذف (ولا)، وشكلها الفصيح (وإلا)، وقد تستخدم في سياق التهديد، تقول للصبي: تقدم وإلا عاقبتك. فقد جرى حذف الفعل بعد (لا)؛ لأنه يفهم من الفعل الطلبي المتقدم عليه. وهذا استخدام عربي قديم نجده في قول الشاعر:

فَطَلِّقْها فَلَسْتَ لَها بِكُفْءٍ وَإِلاَّ يَعْلُ مَفْرِقَكَ الحُسَامُ

وهو شاهد يستشهد به النحويون على جواز حذف فعل الشرط[1]. ولاشك أن للتنغيم أثرًا بالغًا في بيان المحذوف والتنبيه عليه: ولكن مع ادّغام النون في اللام، وكثرة الاستخدام توارى التنغيم في اللهجات؛ فالمستخدم اليوم لا يحس وجود شرط محذوف وهو عند استخدامه لا ينوي ذلك الشرط، بل هو يهدد المخاطب بأن يقول له اختر بين الطلاق أو القتل، ولو جعلت (أو) مكان (وإلا) لاستقامت العبارة. بل إن (وإلا) تستخدم في اللهجات المحلية بمعنى (أو) التخييرية، يقولون: (أكرم عيسى وإلا موسى)، وفي المثل: (إما بالقوة وإلا بالمروة)، والمعنى: "المروة يعني بالمعروف وبالتي هي أحسن. أي يجب أن آخذ هذا الشيء إما بالمعروف أو بالقوة"[2]. ومن الأمثال المصرية: (إنت نبي والا كواليني)[3].

انتقل الفعل (يبغي) من دلالته إلى دلالة وظيفية وهي دلالة (سوف)، وإن يكن هذا الفعل قد بقي على صورته في الحجاز فإنه قد أصابه ما أصاب (سوف) من تآكل في استخدام نجد وشرقي الجزيرة العربية، حيث لم يبق منه سوى (الباء)، يقولون: (أبَسَافر، يَبسافر)، أي: أبغي أسافر، يبغي يسافر. ومثله الوصف: (رائح) فقد تآكل بحذف الهمزة ← (راح)، وقد يستخدم منه (الحاء) فقط، جاء في المثل المصري: (راحْ تُروح فين الشمس عن قفا الحصاد)، قال تيمور: "راح يستعملونها مكان السين وسوف كقولهم: (راح يجي) أي سيأتي، أو بمعنى العزم، أي عزم على

---

[1] الشمسان، الجملة الشرطية عند النحاة العرب، ص ٣٥٣، ٣٣٨.

[2] الجهيمان، الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب، ١ : ٣٦٥.

[3] تيمور، الأمثال العامية، ص ٩٢.

المجيء"[١]. ويلاحظ أنه لمغادرة (راح) معناها واستخدامها هنا وظيفيًا حسن إتيان الفعل (تروح) بعدها. وفي مثل آخر: (راح تقرا زبورك على مين يا داود)، قال تيمور: "ويروى: (حَ تقرا) والحاء مختصرة من لفظة راح"[٢]. وفي اللهجة اللبنانية تآكلت (حتى)[٣]، يقولون: تَنْام، أي: حتى ينام. وللاعتذار، وتطييب الخاطر يقولون في مصر (معلهش)، "وهي منحوتة من قولنا: ما عليه شيء"[٤].

والألفاظ التي نالها التغير في اللهجات كثيرة، منها في الحجاز: (دحين)، أي: هذا الحين. وفي الأردن: (هلْقيت)، أي: هذا الوقت. وفي الشام: (هلاّ)، أي: هذا الأوان. وكلها ذات دلالة وظيفية واحدة وهي (الآن). ومثلها (لسه، لسع)، أي: إلى هذه الساعة. ودلالتها (إلى الآن).

ومما جاء على الحذف والاختصار في العاميات أن ينادي الأبُ طفله قائلا: تعال يا بابا، أما الأم فتنادي الطفل قائلة: تعال يا ماما. ولعل هذا على حذف كلمة (حبيب)، أي: تعال يا حبيب بابا، تعال يا حبيب مامًا.

ومما هو على الحذف لبعض أجزاء الكلام، قولنا: (بيني وبينك)، أي: هذا الكلام لا أريد إظهاره فاجعله سرًا بيني وبينك، ويقال عند إبداء آراء يريد المتحدث إعطاءها أهمية، أو يقال في معرض تعليق فيه إحراج للمخاطب. كأن يكون المتكلم غير موافق في الرأي للمخاطب.

وأسماء الأعلام قد نالها التغير أيضًا، مثال ذلك عائلة (البِنْعلي) فالاسم في الأصل: ال+ابن+علي، ولكن عومل (ابن علي) على أنه اسم واحد، ومثله عائلة (البراشْدي) من عُمان فهو في الأصل قد مرَّ بسلسلة من التغيرات: بوراشد← بوراشد ← بوراشدي ← بوراشدي ← البراشدي.

ومما ناله التغير وصار له دلالة وظيفيّة قول العامة في نجد: (مُهب) ومعناها الوظيفي: (ليس)، يقولون: (مُهُبْ رايح) وأصلها: ما هو برائح. ومثلها أخواتها: (منب: ما أنا بـ، محّنب: ما حنّا بـ [أي: ما نحن بـ]، مَهِب: ما هي بـ، منتِب: ما أنت بـ، منتُب: ما أنتم بـ، منتِن: ما أنتن

---

[١] (تيمور، الكنايات العامية، ص ٢١٩.

[٢] تيمور، الكنايات العامية، ص ٢٢٠.

[٣] [تَا]: "مقطوعة من حتى تدخل على المضارع (تَاكل)= حتى نأكل- قلت له (تَيجي)= قلت له حتى يأتي" (فريحة، معجم الألفاظ العامية، ص ١٩). وهذا التآكل هو ما يسميه رمضان عبد التواب بلى الألفاظ، وعرض لأمثلة منها: (حتى) التي أصبحت في نطق أهل سوريا (تا)، وبيّن أنه تطور قديم ذكره الجواليقي (ت ٥٣٩هـ) (عبد التواب، التطور اللغوي وقوانينه، ص ١٦٥-١٦٦).

[٤] عبد العال، معجم الألفاظ العامية، مادة: معلهش.

بـ). وفي المثل: (اللي ما ينسى ما هوب مْنُ امَّة محمد). قال العبودي: "ما هوب: ما هو. الباء هي التي تلحق خبر (ما) التي تعمل عمل ليس في الفصحى"[١].

ومما أصابه التغير اللغوي لكثرة الاستخدام الاسم الموصل (الذي)، فنجده صار في اللهجات: (الّي) وقد يرسم بـ(اللي) على نحو ما في المثل السابق، ونحو المثل المصري: (اللي يُدُقْ سِدْرُه يدفعَ اللي عليه)[٢].

ونلاحظ أن الاسم قد أصابه شيء من التآكل لكثرة الاستخدام، وليس تآكله بالجديد فهناك الاسم الموصول (ال) وأكثر النحويين يعدونه اسمًا غير (الذي)، ويعنون به (ال) الداخلة على صفة صريحة، مثل: (الضارب)، وعدّوا مجيئها قبل الفعل شاذًّا، وكذا وصلها بالجملة الاسمية وشبه الجملة[٣]. وأحسب أن هناك فرقا بين (ال) التي مع الصفات وتلك التي توصل بها الأفعال أو الجملة الاسمية أو شبه الجملة. فالتي مع الصفات ما هي إلا (ال) المعرفة، أما الأخرى فهي (الذي) بعد تآكلها، وليس اتصالها بشاذ بل هو استخدام لهجي قديم ومازال جاريا إلى اليوم في العراق وبعض دول الخليج والسودان، ومن شواهده الأمثال العراقية: (**الْمتـگـدر** عليه، حَيِل الله عليه)، (الْمَتْهاب من واليها، متهاب من الجيران)، (الْمَيجي بعصا موسى، يجي بعصا فرعون)، (الْمَيجي وِيّاك، تعالْ ويّاه)[٤].

ومن شواهده في السودان: (يا قشيش نص الخلا الْفوق في العتامير)[٥]، (وقال الجعلي: نحن الْنركب العاتي الْيقوم منهم)[٦].

الاستخدام الوظيفي وتوليد الألفاظ

إن التغير اللغوي الذي ضربنا له أمثلة سابقا قد يؤدي إلى خلق ألفاظ جديدة نتيجة تلازم لفظين حتى يتوهم مع كثرة الاستخدام أنهما لفظ واحد. مثال ذلك الفعل (جاء) مع حرف الجر (بـ)، فقد ألفا في اللهجات[٧]فعلا متعديا بمعنى (أحضر). والدليل على فعليته تصرفه، فمنه الأمر:

---

[١] العبودي، الأمثال العامية في نجد، ١: ٢٠١.

[٢] تيمور، الأمثال العامية، ص ٧٤.

[٣] ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ١: ١١٨.

[٤] التكريتي، جمهرة الأمثال البغدادية، ١: ٣٨٢- ٣٨٣.

[٥] قاسم، قاموس اللهجة العامية في السودان، مادة: عتمر.

[٦] قاسم، السابق، مادة: عتا.

[٧] انظر: قاموس رد العامي إلى الفصيح للشيخ أحمد رضا، مادة (ج ي ب)، قاموس اللهجة العامية في السودان لعون الشريف قاسم، مادة (جاب)، معجم الألفاظ العامية لعبد المنعم سيد عبد العال، مادة (جاب).

(جب)، ومنه المضارع: (يجيبون). ومن أمثال نجد: (البردان يجيب حطب)[١]، (إن ما جابها الله، ما جت)[٢]. وفي مصر (ياما جاب الغراب لأمه)[٣].

أما (جاب) التي في الفصحى فهي بمعنى نحت أو شق دائريا، قال تعالى: وثمود الذين جابوا الصخر بالواد [٩- الفجر].

ومن ذلك كلمة: (بناخي) في نجد، يقولون: بناخيك، أي: من ذويك أو من قبيلتك، وأصلها: ابن+أخ: ابن أخيك ← بناخيك؛ نحتا كلمة واحدة وعوملتا معاملة الكلمة الواحدة بدليل تأنيثها: (بناخية).

ومن ذلك قولهم في القصيم: (مِنطالع)، يقولون: (ظَهَرْ مِنْطالِع)، أي: خرج إلى خارج المكان. وهو (مِن+طالع) مركب جعل ظرفًا للمكان.

وفي منطقة السر (نجد) يطلق الناس على البلح من أصفر وأحمر اسم (حَمْرِقان)، ويبدو أنها منحوتة من كلمتي: (أحمر)، و(قان).

الاستخدام الوظيفي والانتقال الدلالي

انتقلت الألفاظ من معنى حسي إلى آخر معنوي وبعد أن اكتسبت دلالة وظيفية نسي ما بينهما من صلة. من ذلك لفظ (تقمص)، نقول: تقمص الممثل الدور، ومعناه في الأصل أنه جعل الدور له قميصا، وهذا كناية عن شدة التصاقه به وجودة تعبيره عنه، ونسي المعنى الأصلي مع الكناية، وبقيت الدلالة الوظيفية.

ومن ذلك قولنا (عطف عليه)، ويرتد ذلك إلى المعنى الحسي وهو الثني، فعطف الرجل الشيء أي: ثناه، والإنسان حينما يعطف على صغير إنما يعطف جسمه عليه أي: يثنيه عليه وهو يقوم برعايته. هذا المعنى الحسي انتقل إلى معنى شامل لكل أنواع الرعاية حتى إنْ على البعد كالعطف على الفقراء والمساكين. وقريب من هذا؛ الفعل (يحنو عليه)، فهو في الأصل أن يحنو جسمه عليه، ثم انتقل من هذا المعنى الحسي الملابس للعناية بالصغير إلى المعنى العام الشامل للعناية[٤].

---

[١] أورده العبودي على النحو التالي (البردان يجي بحطب) وذلك رعاية منه لأصل التركيب لا الاستخدام اللهجي؛ لكنه التزم الاستخدام اللهجي في المثل الذي بعده. انظر: العبودي، الأمثال العامية في نجد، ١: ٢٥٦.

[٢] العبودي، الأمثال العامية في نجد، ١: ٢٣٣.

[٣] تيمور، الأمثال العامية، ص ٥١٤.

[٤] ينتقل الفعل من التعدي إلى الزوم وذلك بحذف المفعول منه نتيجة لكثرة استخدام الفعل استخدامًا وظيفيًّا لا يحتاج معه إلى فاعل، ولذلك أمثلة في القرآن الكريم، انظر: الشمسان، الفعل في القرآن الكريم: تعديته ولزومه، ص ٦٨٨- ٧١٠.

ومن ذلك (الصبر)، نقول عليك بالصبر، والصبر مفتاح الفرج، فما معنى الصبر؟ الأصل في الصبر: (الحبس)، فيقال: قتل فلان صبرًا، أي حبس حتى مات[١]. وقال تعالى: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ [٢٨- الكهف].

ومن ذلك (التهجد)، يقال: هو يقضي ليله متهجدًا. الهجود هو النوم، أما التهجد فهو ترك النوم، وهذا معنى من معاني البناء (تَفَعَّلَ)، فهي تعني التباعد عن معنى أصلها. وإن يكن التهجد قد اكتسب معنى وظيفيًّا محدّدًا هو العبادة في الليل. ومما جاء على هذا البناء: (تجنّب)، نقول: تجنبْ مواطن الشبه. أي: اترك جانبها. ونقول: (تأثّمَ)، أي: ابتعدَ عن الإثم، و(تحرَّج)، أي: ابتعد عن الحرج[٢].

ومن هذه الألفاظ التي غادرت مجالها الحسي الأصلي إلى مجال معنوي كلمة في لهجة الكويت: يعجف، أي: يعكف. يقولون في الكويت عن الشخص الذي ينافق غيره: (يعجف له) أي: يعكف له. والمصدر (العَجَاف) أي: العكاف، وهو النفاق. فما هي العلاقة بين النفاق وهذه المادة؟

يفسر هذه العلاقة خير تفسير المثل: (مدّاحتها عجافتها)[٣]. ويعني أن من يمدح الفتاة هو من قام برعايتها، وهي (العجافة) التي تقوم على تمشيط الفتاة وتضفير شعرها، وتضفير الشعر هو (العجف) أي العكف[٤]: فهذا المدح داخل في النفاق بحكم العلاقة بين المادح والممدوح؛ ولذلك فكل منافق يمدح الشخص بما ليس فيه هو مثل (العجافة) التي تمدح فتاتها بما ليس فيها. ثم جعل (العجف) أي: العكف الذي هو التضفير- بسبب الملابسة- بمعنى المدح.

ومن الأفعال التي صار لها دلالة وظيفية (سَمْ) في لهجة نجد، فهي قد تعني: (نعَم)[٥]، وقد تعني (ابدأْ)، فدلالاتها على هذه الألفاظ دلالات وظيفية تختلف عن الدلالة المعجمية، أي دلالة اكتسبها اللفظ نتيجة استخدامه في ظرف محدد في ملابسة معينة، فكلمة(سم) في الأصل فعل أمر من التسمية أي: قل: (بسم الله الرحمن الرحيم)، كناية عن الإذن للمخاطب بالبدء بالقول أو

---

[١] الشمسان، الفعل في القرآن الكريم: تعديته ولزومه، ص ٦٧١- ٦٧٢.

[٢] الزمخشري، المفصل، ص ٢٧٩.

[٣] الرومي وكمال، الأمثال الكويتية المقارنة، ٤: ٢٣٦.

[٤] جاء في اللغة: "عكّف الشعر: أي جعّد" (الصغاني، العباب، ف: ٤٥٢).

[٥] ويذهب رمضان عبد التواب إلى أنها تطور لعبارة: "سمعا وطاعة" (عبد التواب، ١٩٧٥: ١٦٦- ١٦٧). وهو معذور في تخريجه لأنه يجهل سياق اللفظ الاجتماعي. ولكن إذا نظرنا إلى استخداماتها الوظيفية جزمنا بكونها من (بسم الله الرحمن الرحيم).

الأكل[١] أو العمل. والفعل واسع الاستعمال والتصرف في الحديث والأشعار: سمّى، يسمي، وسم.

ومن المعروف أن القسم يستخدم لتأكيد الكلام؛ ولكنا نصادف بعض استخدامات له ينسى معها الغرض منه وذلك حينما يتضام مع كلمات دالة على الإيجاب أو النفي، مثال ذلك: استخدام العامة (إي والله)، (إي بالله) وكل ذلك بالمعنى الوظيفي يرادف (نعم). وكذلك: (لا والله)، (لا بالله)، ولا دلالة للقسم هنا. وقد يستخدم لفظ الجلالة مكررا لهذا الاستخدام الوظيفي وهو معنى (نعم)، ومثاله من استخدامهم أن تسأله: هل ذهب محمد؟ فيجيب: الله الله. أي: نعم. ومن ألفاظ الجواب أيضا: (ما يحتاج)، و(ما يعتاز)، فقد يقصد بها نعم، وقد يقصد بها تصديق المتحدث، أو تأكيد الكلام، فهي قد ترادف (مؤكد). تقول له: هل هذا صحيح؟ فيقول: ما يحتاج. والأصل في ذلك: ما يحتاج الأمر إلى تأكيد.

ومن الأفعال التي انتقلت من معانيها الأصلية إلى أخرى الفعل (قال) فهو يستخدم بمعنى (فعل). يقولون في نجد: (قال به كذا وكذا)، أي: فعل به كذا وكذا، (قل به كذا)، أي: افعل به كذا. وهذا الانتقال قديم وقد عد الزمخشري انتقل دلالة (قال) من المجاز، قال: "ومن المجاز: قال بيده: أهوى بها، وقال الحائط فسقط: مال"[٢]. وجاء في (تهذيب اللغة): "وقال ابن الأعرابي: العرب تقول: قالوا بزيد، أي قتلوه، وقلنا به أي قتلناه: وأنشد:

نحنُ ضَرَبْناهُ على نطابهْ قُلْنا به قُلْنا به قُلْنا بهْ

أي قتلناه"[٣]، وفي (اللسان): "وقوله في الحديث: فقال بالماء على يده؛ وفي الحديث الآخر: فقال بيده هكذا، قال ابن الأثير: العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان فتقول: قال بيده أي أخذ، وقال برجله أي: مشى"[٤].

والذي أراه أن (قال) يستخدم بمعنى (فعل) ثم هو بهذا المعنى فِعلٌ قد يخرج إلى معان أخرى يعين على فهمها السياق المقالي والحالي. وقد يستخدم، في نجد، المضارع منه (تقول) أداة للتشبيه، يقولون: (أسرع تقول صاروخ). أي: أسرع كالصاروخ، وأكثر ما يستخدم بحذف الواو منه: (تِقِل)، وهذا لكثرة استخدامه في هذه الوظيفة. يقولون: (يجمع تِقِلْ نملة). أي: يجمع كالنملة.

(١) وا دف من التسمية عند الأكل طرد الشيطان أن يشارك فيه حـ أن الذي يغفل عن ذلك يسمي أثناء الأكل قائلاً بسم ا باوله (بأوله) وآخره.

[٢] الزمخشري، أساس البلاغة، مادة: قول.

[٣] الأزهري، تهذيب اللغة، ٩: ٣٠٧.

[٤] ابن منظور، لسان العرب، مادة: قول.

وهذا الاستخدام عربي قديم، قال امرؤ القيس:

إذا ما جَرَى شَأْوَيْنِ وَابْتَلَّ عِطْفُهُ　　تَقُولُ هَزِيزَ الريحِ مَرَّتْ بِأَثْأَبِ

قال الشارح: "إذا جرى هذا الفرس طلقين وابتل جانبه من العرق سمعت له خفقًا كخفق الريح إذا مرت بأثاب، وهو شجر يشبه الأثل، يشتد صوت الريح فيه"[١]. ومثله قول الأعشى:

أَضافُوا إليه فَأَلْوى بهم　　تَقولُ جُنونًا ولَمّا. يُجَنّ[٢]

ومن الألفاظ التي فارقت أصلها إلى دلالة وظيفية ما نؤكد به الصفات من ذلك (مرة)، في نجد، فقد انتقلت من كونها مصدرًا للفعل (مرّ: يمر) إلى هذه الدلالة الوظيفية، يقولون: (حلو مرة)، (صعب مرة)، (طويل مرة)، وكذلك: (بالحيل)، يقول أهل نجد: (حلو بالحيل، صعب بالحيل، طويل بالحيل). وفي مصر (قوي ←أوي)، يقولون: (حلو أوي)، (كتير أوي)، (طويل أوي)، (ضعيف أوي)، وهذا المثال صارخ في دلالته على وظيفية (أوي). وفي الكويت (واجد ←وايد)، يقولون: (حلو وايد)، (صعب وايد)، (طويل وايد). وفي الشام (كتير)، يقولون: (حلو كتير)، (صعب كتير)، (طويل كتير).

وقريب من ذلك الصفة التي تنوب عن كل الصفات؛ فهي قد انتقلت من دلالتها الأصلية الخاصة إلى دلالة عامة تنال كل الصفات؛ فهي تعبر عن الغاية التي تصل إليها الصفة في الجودة، من ذلك قولهم في لبنان: لذيذ← (لزيز)، يقولون: (بيت لزيز)، (سيارة لزيزة)، (قصيدة لزيزة).

وقد يختفي المعنى المعجمي للفظ؛ ولكن الاستخدام الوظيفي باقٍ. من ذلك مادة (رحل)، فقد اختفت من لهجة القصيم (نجد)، وبقيت دلالتها على الحفلة التي تقام في بيت الزوج عند انتقال عروسه إليه، وإن لم يقتض الأمر رحيلاً من مكان إلى آخر، فقد تكون جارته. ومن ذلك مادة (خرج)، فقد اختفت من لهجة القصيم وربما نجد عامة؛ ولكن بقي لها معنى وظيفي، وهو (الطرد)، يقولون: (اخْرِج)، أي: ابتعد، وقد تستخدم للذم والتكذيب، يقولون: (يْخَرِج). ولا شك أن هناك علاقة بين الخروج والابتعاد، فـ(اخرج) أمر بالخروج من أجل الابتعاد، نسي الأمر بالخروج، وبقي الهدف والوظيفة، وهو الابتعاد.

وللدلالة على الطرد يقول الناس في نجد والخليج: (اقتضب الباب)، و(اقضب) هي مقلوب (اقبض)، ومع ذلك فلكل منها استخدام مختلف فالأولى تدل على المسك، أما الثانية، فتدل على تسلم النقود.

---

[١] الشنتمري، شرح ديوان امرئ القيس، ص ١٤٠.

[٢] الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، ص ٧١.

ومما انتقلت دلالته ألفاظ تدل على شدة الضرب مثل قول أهل القصيم (نجد): (كفر به)، أي: ضربه ضربًا شديدًا. وأصل لاستخدام: ضربه ضربًا كفر به، أي: بلغ به حدَّ الكفر. ومثله (يدبغه)، أي: يضربه ضربًا شديدًا، ولست متبينًا لعلاقة الدباغة بالضرب، وقد تكون كناية عن شدة الضرب التي ينسلخ لها الجلد فيدبغ، خصوصًا أن هذا التعبير يكثر استخدامه في التهديد بالضرب لا الضرب نفسه. وقد يكون المعنى يضربه ضربًا يحمر له جلده احمرار الجلد المدبوغ، خصوصًا أن مادة الدباغة في نجد قد تكون ورق الأرطى وهو ذو صبغة حمراء.[١] .

ويكني أهل نجد عن الضعف بقولهم: (والله انه)، وهو تعبير عن الضعف أو توسط الحال بجميع أشكالها، يقولون عن المريض جسميًّا أو عقليًّا (والله انه)، يقولون: (نجاح الطلاب والله انه) يعني ضعيف أو متوسط، وليست متبينًا بوضوح العلاقة بين التركيب ودلالته الوظيفية فقد يكون معتمدًا على حذف بعض عناصر الجملة، ولعل هذا المحذوف هو ما يدلّ على الضعف، والقسم جيء به في الأصل لتأكيد المعنى ولكثرة تلازمه مع هذه الدلالات حذفت ألفاظها واكتفي بمؤكدها لأنها يستحضرها الذهن عند النطق به، ثم اكتسب القسم دلالة وظيفية هي الدلالة على تلك المحذوفات، وفقد القسم وظيفته التأكيدية.

وقد تنتقل الجملة الاستفهامية إلى مجال آخر غير الاستفهام من ذلك التركيب (أرأيت)، قال تعالى:

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى❖عَبْدًا إِذَا صَلَّى❖أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى❖أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى❖أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) [٩- ١٣ العلق]

جاء في الكشاف للزمخشري عند تفسير هذه الآيات: "فنَزلت- أرأيت الذي ينهى — ومعناه: أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته"[٢]. وفي الحديث الشريف: (أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟)[٣].

وما زال هذا التركيب بهذا الاستخدام الوظيفي مستعملاً في نجد، فهم يقولون: أريت فلان وِشَ اخباره؟ أي: أخبرني، فلان ما أخباره؟. ونلاحظ أن التركيب قد ناله شيء من التغير اللغوي، ولكن هذا التغير قديم جدًا، فقد ذكر النحاس أن (أرأيت) يجوز أن تكون همزتها همزة

---

[١] في (تهذيب اللغة): "قلت: والأرطاة شجر ورقها عبل مفتول وجمعها الأرطى، منبتها الرمال لها عروق حمر يدبغ بورقها أساقي اللبن، فيطيب طعم اللبن فيها" (الأزهري، تهذيب اللغة، ١٤: ١٦).

[٢] الزمخشري، الكشاف، ٤: ٢٧١.

[٣] النووي، رياض الصالحين، ٤٣٠.

بين بين، ويجوز أن تحذف الهمزة[١]. ومن شواهد ذلك ما أورده الجوهري وذلك قول ركاض بن أباق الدبيري:

أريتك إن منعت كلامَ ليلى أتمنعني على ليلى البكاءَ[٢]

الاستخدام الوظيفي واللغة الانفعالية

ومن الاستخدام الوظيفي طائفة من الألفاظ التي نقلت من أصولها ليعبر بها عن حالات الإنسان الانفعالية من إعجاب، وتحضيض، وفرح، وغضب، وغيرها. من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم: (قال تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسابها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)[٣].

قال أبو عبيد: "وأما قوله: تربت يداك، فإن أصله أنه يقال للرجل إذا قل ماله: قد ترب- أي افتقر حتى لصق بالتراب- قال الله عز وجل: (أو مسكينًا ذا متربة) [١٦- البلد]، فيرون - والله أعلم- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعمد الدعاء عليه بالفقر؛ ولكن هذه كلمة جارية على ألسنة العرب يقولونها وهم لا يريدون وقوع الأمر"[٤]. فـ(تربت يداك) في الأصل دعوة بالهلاك لكنها انتقلت هنا للدلالة على الحثّ المصاحب بالتحبب والمداعبة. ومثله قول العرب: (ثكلتك أمك)، جاء في (اللسان): "وفي الحديث: أنه قال لبعض أصحابه: ثكلتك أمك أي: فقدتك؛ الثكل: فقد الولد كأنه دعا عليه بالموت لسوء فعله أو قوله، والموت يعم كل أحد فإذا هذا الدعاء عليه كلا دعاء، أو أراد إذا كنت هكذا فالموت خير لك لئلا تزداد سوءًا؛ قال: ويجوز أن يكون من الألفاظ التي تجري على ألسنة العرب ولا يراد بها الدعاء كقولهم: تربت يداك وقاتلك الله"[٥].

ومثل ذلك قول العرب: (لا أبا لك). قال زهير:

سَئِمتُ تَكالِيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ

قال الأعلم في شرحه: "وقوله (لا أبا لك) كأنه يلوم نفسه. وهي كلمة تستعملها العرب، في تضاعيف كلامها، عند الجفاء والغلظة وتشديد الأمر"[٦]. وقال أبو عبيد: "ألا تراهم يقولون: لا أرضَ لك ولا أمَّ لك وهم يعلمون أن له أرضًا وأمًّا؟ وزعم بعض العلماء أن قولهم: لا أبَ لك

[١] النحاس، إعراب القرآن، ٥: ٢٩٥.
[٢] الجوهري، الصحاح، ٦: ٢٣٤٨ مادة: رأي.
[٣] البخاري، صحيح البخاري، ٧: ٩.
[٤] أبو عبيد، غريب الحديث، ٢: ٩٥.
[٥] ابن منظور، لسان العرب، مادة: ثكل.
[٦] الشنتمري، شعر زهير بن أبي سلمى، ص ٢٥.

مدح، ولا أمَّ لك ذم. قال أبو عبيد: وقد وجدنا قولهم: لا أمَّ لك قد وضع موضع المدح؛ قال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه:

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يؤوب"[١]

ونصف شخصًا معجبين به بأنه: عفريت، شيطان، خبيث، ملعون، ابن كلب. كل ذلك ونحن نعني أنه ذكي جدًّا غافلين عن جوانب هذه الكلمات السيئة؛ ذلك أننا أخذنا من الصفات الجانب الحسن وهو الذكاء، ثم أصبحت هذه الكلمات من الناحية الوظيفية كلمات مدح وإعجاب فالسامع والناطق يدركان المعنى الوظيفي لهذه الألفاظ.

ومن ذلك بعض دعوات النساء مثل قولهن، في نجد: (بْعَدي) مدحًا للطفل، أو تشجيعًا وهذا هو المعنى الوظيفي، أما الأصلي فهو دعوة بأن يبقى حيًّا بعدها، أي: تعيش بعدي فلا أحزن عليك. ويقابل هذا؛ الاستخدام الشامي (تئبرني)، أي: تقبرني، والمعنى في الأصل: أموت قبلك فتقربني، وهي تدعو له بهذا أن يبقى ولا تحزن عليه. وفي الكويت يقلن: (عساي ما أذوق حزنك)، (عساي ما ابجيك)، أي: عساي ما أبكيك.

ومن ذلك، طائفة من الأدعية الدينية انتقلت من دلالتها على الدعاء إلى معان وظيفية خاصة يتطلبها السياق المقالي أو الحالي. من ذلك أن قول أهل نجد للشخص: (اذكر الله)، أي: اسكت، أو تمهل، حسب الموقف. ومثلها: (قل لا إله إلا الله)، أو: (اذكر الْلي عنك غني). ولا شك أن كل واحدة تعطي ظلالا من الحالة النفسية للمستخدم. ومن ذلك أيضًا: (صل على النبي) ويطلب بها التمهل، وللتهدئة من سَورة الغضب أو الانفعال المصاحب للحزن. ونقول عند البدء بعمل أو بشيء (بسم الله)، وكذلك نقولها للتعبير عن الخوف، ونقول عند السخط من شيء أو شخص: (أعوذ بالله). وقد نقولها عند ذكر شيء أو شخص بغيضين. ونقول عند الإعجاب أو التعجب: (ما شاء الله)، (سبحان الله)، (تعالى الله). وللتأكيد: (عزّ الله)، يقولون في نجد: (عزّ الله إنه صحيح). ويقولون للدلالة على البعد الزمني: (يا عَوين). وللأمر بالابتعاد: (اِتِكِلْ على الله)، وللتشجيع على المضي في أمر: (توكّل على الله)، وللدلالة على الموافقة: (إن شا الله)؛ وهو يعني موافق أو نعم، ومن استخدامه بمعنى (نعم) جوابهم في القصيم (نجد) لمن يسأل: هل نجحت؟ بقوله: (إن شا الله)، أي: نعم. وقد تكون بمعنى عسى: (إن شا الله يجي)، أي: عسى أن يأتي. وفي المصرية: (إن شا الله ما اعدمك)، أي: عسى الله أن يحفظك فلا أعدمك.

[١] أبو عبيد، غريب الحديث، ٢: ٩٥.

ومما يستخدم وظيفيًّا قول العامة (يَلْلَه)، ومعناها الوظيفي: (هيّا) وهي مركبة من (يا) ولفظ الجلالة (الله). أما علاقتها بـ(هيّا) فهي أن المسلم تعود أن المسلم تعود أن ينادي ربه عند شروعه في عمل من الأعمال ليكون له عونًا وصار هذا النداء أو الدعاء من لوازم بعض الحركات التي يأتي بها الإنسان كالنهوض مثلا فهو يقول ناهضًا وكأن القول حافز: (يا الله). ومن أجل ذلك استخدمت (يلله) للدعوة وطلب القيام فيقول الشخص لصاحبه: (يلله). وكأنه يقول له: قل (يا الله) كناية عن النهوض، أو كأنه يسأله: أنقول(ياالله)، أي: أننهض. ومع كثرة الاستخدام صارت (يلله) تعني: (هيا)، ونسي ما لها من علاقة بأصلها. ويلاحظ أن المد قد حذف منها تخفيفًا لما صارت بمعنى (هيّا).

الاستخدام الوظيفي والوهم في الاستخدام

إن معرفة الاستخدام الوظيفي وحده قد توقع في الوهم والخطأ من ذلك: قول النساء في مصر: (دا مْسَتّتْها) أو عند الترحم عليه: (دا مستتني) المعنى الوظيفي: هو الذي يرعاني ويجعلني أعيش حياة طيبة لا مشقة فيها، ولكني رأيت مشهدًا تمثيليًّا يقول فيه الرجل مهدّدًا زوجته: (أنا راح أتزوج وحدة تستتني)- والمشهد ليس هزليًّا- الرجل فهم المعنى الوظيفي العام وغاب عنه أصل المعنى وخصوصية استخدامه فهو مأخوذ من كلمة (ست)؛ فهو مستتني، أي: هو الذي جعلني ستًّا. وكلمة (ست) في المجتمع المصري لها دلالة اجتماعية خاصة تعبر عن طبقة اجتماعية.

ومعرفة الاستخدام الوظيفي وحده ربما يساعد في تعلم اللغة؛ لكنه قد يخلق لبسًا وقد يفوت الفرصة أمام المتعلم أن يعرف المعنى المعجمي للفظ، وذلك لشدة ارتباط اللفظ عند المتلقي بالوظيفة التي يؤديها، وقد قمت باختبار بسيط؛ لكنه يبين مدى ارتباط معنى الكلمة عند المستخدم بالوظيفة. كنت أشاهد مع ابني برنامجًا تلفزيونيًّا لتعليم اللغة الفرنسية وكان هناك مشهد يفترض أنه يعلم تعبيرًا معينًا أمّا المشهد فهو: رجل يتقدم نحو باب مغلق، فيقرعه، فيفتح الباب طفل، ثم ينحني الطفل انحناء خفيفًا مشيرًا للرجل بيده إشارة تفيد الإذن بالدخول وهو يقول: monsieur. تكرر المشهد مع تغير بسيط في الشخصيات. فسألت ابني عن معنى الكلمة- وكنت توقعت جوابه- فقال: (معناها تفضل)، فهم المعنى الوظيفي الذي جاء اللفظ هنا مؤديًّا له، وهو كما نعلم مخالف للمعنى المعجمي للفظ.

وقد ينشأ عن الوهم في الربط بين اللفظ ووظيفته خلق لفظ جديد، يقولون في الكويت: (أنا ما عندي بيع بَرِّد)، أي: لا أتهاون أو أتساهل، المهم هو كلمة (بَرّد)، فهي تعني: (أيسكريم)، ولدت هذه الكلمة حين سمع الطفل الكويتي (بياع الايسكريم) ينادي ويعلن عن بضاعته قائلا:

بَرِّد، بَرِّد، بَرِّد. و(بَرِّد) فعل أمر أي: بَرِّد على نفسك من الحر بتناول شيء من الايسكريم. توهم الصغير أن كلمة (بَرِّد) اسم لهذا الشيء الحلو البارد، فكان كلما أراد منه قال: (أبي بَرِّد) وتابع الكبار بذلك الصغار.

ولكن المعنى الوظيفي له أهمية خاصة حين نريد نقل التركيب من لهجة إلى أخرى أو من لغة إلى أخرى؛ إذ المعنى الوظيفي لا الأصلي هو المراد. ومن ذلك ما ذكره (أحمد مختار عمر) من أمثلة يبين فيها أن العلاقات السياقية يندر تطابقها في اللغات، فتراكيب مثل: (يشرب مقلب)، (يشرب سجارة)، (يشرب من البحر)، (يشرب من كيعانه)، لو ترجمت بنصها إلى لغة أجنبية لكانت محل دهشة، واللغة الإنجليزية تطلق على الفول السوداني monkey nut ولو نقلت إلى اللغة العربية فقيل: بندق القرد ما فهمت[1].

وقد نجد صعوبة في ترجمة النصوص العالية كالآيات القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾[البقرة: من الآية١٨٧]

طلبت ترجمة الآية آليا فخرجت الترجمة

Are you good for you wives

وأما في موقع مجمع الملك فهد فوردت الترجمة:

They are *Libâs* [i.e. body cover, or screen, or Sakan, (i.e. you enjoy the pleasure of living with them - as in Verse ٧:١٨٩) *Tafsir At-Tabarî*], for you and you are the same for them.

فتجدهم أبقوا على اللفظ العربي (لباس) وحاولوا تلمس معاني مختلفة بمعناه.

وتحدث كثير من النوادر عندما يعبر غير المتمكن من الإنجليزية عن أفكاره بأصوات انجليزية، من ذلك أن أحد الطلاب أراد أن يبين لمدير المدرسة أن دراسته لا تسير سيرًا حسنًا، فترجم ما يمكن قوله بالعربية I can not walk in this school، فأخبره مدير المدرسة بأنهم سيزودون المدرسة بمصعد. وشتم أحدهم قائلا: Turn your face ومعناها في (نجد)، (اقلب وجهك)، أي: ابتعد. وقال أحدهم لآخر مهددًا: If you are your father's son come again ! وهذه ترجمة حرفية من لهجة نجد: (كانك ولد أبوك تعال مرة ثانية)، أي: إن كنت شجاعًا فتعال مرة أخرى. ومثل هذا كثير من الترجمات الحرفية التي أدخلت إلى العربية تراكيب غريبة عنها مثل: (يلعب دورًا) بمعنى يؤثر، (محدود) بمعنى قليل.

---

[1] عمر، علم الدلالة، ص ٧٦.

الخاتمة

تبين في الصفحات السابقة أن المعنى الوظيفي المباشر للغة هو مطلب المتحدث العادي الذي لا يحفل بتحليل اللغة. ولا معرفة أسرار التركيب، ذلك المستخدم الذي تستحيل معه الجمل ذات الطابع الخلاّق وذات الوهج الفني إلى جمل عادية لكثرة استخدامه لها. ولربطه إياها بوظيفتها؛ ولعل ذلك إنما يكثر في جانب اللغة الاتصالي اللصيق بالتعبير عن الحاجات الاجتماعية. لكن اللغة تزود باستمرار بألوان من الجمل الجديدة ذات الطابع الفني على أيدي المبدعين من متحدثي اللغة.

وقد تبين أن الاستخدام الوظيفي يقف وراء الاتحاد في الدلالة مع تعدد الشكل، وذلك على مستوى الأصوات، وقد مثلنا بصوت (القاف)، الذي ينطق على صور مختلفة في البلاد العربية. ومثل ما قيل عن القاف يمكن قوله عن أصوات أخرى كالجيم.

ويقف الاستخدام الوظيفي وراء ظواهر لغوية بارزة في العربية تتعلق بالكلمة مثل ظاهرة (الترادف)، الذي ينشأ نتيجة لاتحاد كلمات مختلفة في استخدامها الوظيفي. وظاهرة أخرى مثل (تعميم الدلالة) الذي قد ينشأ عنه اتحاد كلمات في استخدامها. وظاهرة (المشترك اللفظي) ذات صلة بالاستخدام الوظيفي، فالمستخدم لا يحفل بأسباب الاشتراك. بل اللفظ عنده متعدد الوظائف. ومن هذه الظواهر النقل إلى الأعلام، فما الأعلام إلا ألفاظ لغوية، لكنها تستخدم استخدامًا وظيفيًّا تتخلف معه دلالاتها اللغوية الأساسية.

أما على مستوى التركيب فإن هذا الاستخدام يقف وراء حدوث ألوان من التراكيب التي هي من قبيل القوالب اللغوية. وهي تلازمات نشأت بسبب هذا الاستخدام الوظيفي. وهو سبب أيضًا لحدوث بعض التغيرات في التراكيب على نحو ما حدث في (سلخير)، و(شو)، و(أبسافر)، و(تينام). وكلها تراكيب بينت أصولها بما يغني عن الإعادة.

وهو سبب في حذف بعض عناصر بعض التراكيب مثل: (يا بابا) ينادي بها الأب ابنه، و(يا ماما) تنادي الأم بها ابنها أيضًا، حيث حذف من التركيبين لفظ (حبيب). وتتولد بعض الألفاظ نتيجة لهذا اللون من الاستخدام مثلنا على ذلك بكلمة (بناخي)، و(جاب). وقد ينتقل التركيب من دلالته الأصلية بسبب استخدامه وظيفيًّا إلى مجال آخر، مثال ذلك: (عطف عليه)، (صبر على المكروه)، (تهجد في الليل).

وربما تختفي المادة اللغوية من اللهجة إلا من بقية متمثلة في بعض التراكيب ذات الاستخدام الوظيفي، مثال ذلك مادتا: (رحل)، و(خرج) في لهجة القصيم من نجد.

وحين نتأمل التراكيب ذات الاستخدام الوظيفي نجد أن لها علاقة خفية بالمعنى الحرفي للتركيب، وهو المعنى اللغوي الذي تدل عليه الألفاظ في الأصل. من ذلك: التركيب (لله دره)؛ فهو من حيث الاستخدام الوظيفي إعجاب بالفاعل، ولكنه في الأصل دعاء له. والعلاقة بينهما هي أن الإنسان حين يعجب بشخص فإن إعجابه قد يدعوه إلى الدعاء له. وقد تكون العلاقة هي علاقة المشابهة، مثال ذلك: (وقع في ورطة). وقد تكون العلاقة أيضًا التعليل وبيان السبب أو المسبب، مثال ذلك: (الغشيم يدخلك الذرة)، و(أخذنا بشراع وميداف)، و(نايم على ودانه)، و(مسحوب من لسانه). فحين نتأمل المعاني الأساسية نجدها أسبابًا للمعنى الوظيفي، فدخول الذرة بسبب الخوف، واستخدام الشراع والمجداف سبب للسرعة، والنوم على الأذن يقفلها فلا تسمع، والسحب على اللسان أطاله.

ونجد أن الجملة العربية بأشكالها المختلفة تقريبًا قد نقلت من معانيها الأساسية، واستخدمت استخدامًا وظيفيًّا. من ذلك:

جملة الدعاء: (تربِت يداك). للمداعبة والحثّ على أمر.

جملة الاستفهام: (وين الدنيا، وين هله). للبعد الزمني.

جملة الأمر: (سِكْتَو) للبعد الزمني، (اذكر الله) للاستمهال.

جملة النفي: (ما يمغط ظهره) للانشغال.

جملة الشرط: (وإلا). للتهديد. و(إن شا الله) للوعد، وبمعنى نعم.

جملة النداء: (يلله). بمعنى هيّا.

جملة القسم: (أي والله). بمعنى نعم، و(والله انه). للتقليل من شأنه.

الجملة الخبرية: (الله المستعان) . للبعد الزمني.

وقد عرضنا في الصفحات السابقة إلى جانب من جوانب الاستخدام الوظيفي وهو الجانب المتعلق بتعليم اللغة، فبينا أن تعليم المعنى الوظيفي بمعزل عن المعنى اللغوي الأساسي قد يحدث بعض اللبس عند المتلقي. ثم بينا أيضًا أن إهمال المعنى الوظيفي عند الترجمة والاعتماد على المعنى الحرفي للكلمات، والتراكيب يفضي إلى نتائج غير موفقة في الغالب.

ولابدّ لنا أن نبين هنا أن اللفظ، أو التركيب قد يكون له استخدامان استخدامه الأساسي المعجمي، واستخدامه الوظيفي، مثال ذلك: (سكتو)، فهي أمر بالسكوت. وهي وظيفيًّا دالة على البعد الزمني. ومثل كلمة (المرور) في: (المرور ممنوع في هذا الشارع). و(المرور يخالف المسرعين).

وبعد فإن أمثلة الاستخدام الوظيفي كثيرة متنوعة، وتزداد على الدوام، لذا فهي تحتاج إلى جهود كبيرة لجمعها وتصنيفها، وحسبنا في هذه الصفحات أن بينا بعض جوانبه.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير ، ضياء الدين:

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، ج١ ، القاهرة : دار نهضة مصر.

الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد:

تهذيب اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون وآخرون ، ج٩ ، ١٤ ، القاهرة : الدار المصرية للتأليف والنشر ، دون تاريخ.

إسلام ، عزمي:

مفهوم المعنى ، دراسة تحليلية ، الكويت : جامعة الكويت ، ١٩٨٥م.

الأسنوى ، جمال الدين:

الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية ، تحقيق محمد حسن عواد ، عمان : دار عمار(ط١) ، ١٩٨٥م.

الأنباري ، أبو بكر محمد:

الزاهر ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، بغداد : دار الرشيد(ط١) ، ١٩٧٩م.

أنيس ، إبراهيم:

في اللهجات العربية ، القاهرة : مكتبة الإنجلو المصرية ، (ط٤) ، ١٩٧٣م.

البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة:

صحيح البخاري ، م٣/ج٧ ، القاهرة : دار الشعب.

البطليوسي ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد:

الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، وحامد عبد المجيد ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢م.

البغدادي ، عبد القادر بن عمر:

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ج٣ ، القاهرة : دار الكاتب العربي ، (ط١) ، ١٩٦٨م.

البكري ، حازم:

دراسات في الألفاظ العامية الموصلية ، بغداد : مطبعة أسعد ، ١٩٧٢م.

التكريتي ، عبد الرحمن:

جمهرة الأمثال البغدادية ، بغداد : المجمع العلمي العراقي(ط١) ، ١٩٧١م.

تيمور ، أحمد:

- الأمثال العامية ، القاهرة : لجنة نشر المؤلفات التيمورية(ط٣) ، ١٩٧٠م.
- الكنايات العامية ، القاهرة : لجنة نشر المؤلفات التيمورية(ط٣)١٩٧٠م.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن:

أسرار البلاغة، تحقيق هـ. ريتر، استانبول: مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٤م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان:

الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، القاهرة، مصطفى الحلبي ، ١٩٥٤م.

الجهيمان، عبد الكريم:

الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب. الرياض: دار أشبال العرب(ط٢) ١٣٩٩هـ.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد:

الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين(ط١)، ١٩٧٩م.

حموده، طاهر سليمان:

دراسة المعنى عند الاصوليين، الاسكندرية: الدار الجامعية، ١٩٨٣م.

الخولي، محمد علي:

الأصوات اللغوية، الرياض: مكتبة الخريجي، (ط١). ١٩٨٧م.

ابن درستويه، عبدالله ابن جعفر:

تصحيح الفصيح، تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد: وزارة الأوقاف، ١٩٧٥م.

راضي، عبد الحكيم:

نظيرة اللغة في النقد العربي، القاهرة: مكتبة الخانجي، (ط١)، ١٩٨٠م.

رضا، أحمد:

قاموس رد العامي إلى الفصيح، بيروت: دار الرائد العربي، (ط٢)، ١٩٨١م.

الرومي، أحمد البشر وكمال صفوت:

الأمثال الكويتية المقارنة، جـ٤، ١، الكويت: وزارة الإعلام، ١٩٧٨م.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر:

- الكاشف، بيروت: دار الفكر(ط١)، ١٩٧٧م. (مصور عن مطبعة: مصطفى الحلبي، القاهرة: ١٩٦٦م).
- أساس البلاغة، القاهرة: دار الكتب(ط٢)، ١٩٧٢م.
- المفصل في صنعة الإعراب، بيروت: دار الجيل(ط٢ مصور عن طبعة سنة ١٣٢٣هـ. بعناية النعساني).

سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر:

الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

ابن سيده، علي بن إسماعيل:

المخصص، القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٣٢١هـ.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر:

همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، الكويت: دار البحوث العلمية، ١٩٧٥م.

الشمسان، أبو أوس إبراهيم:

- الجملة الشرطية عند النحاة العرب، ط١ القاهرة: مطابع الدجوى، ١٩٨١م.
- حروف الجر: دلالاتها وعلاقتها، ط١، جدة، مطبعة المدني، ١٩٨٧م.
- الفعل في القرآن الكريم، تعديته ولزومه، الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٦م.
- قضايا التعدى واللزوم في الدرس النحوي، ط١ جدة: مطبعة المدني، ١٩٨٧م.

الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى:

- شرح ديوان أمرئ القيس بن حجر الكندي، بعناية الشيخ ابن أبي شنب، الجزائر: الدار الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٤م.
- شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت: دار الآفاق الجديدة، (ط٣)، ١٩٨٠م.

الصفاني، الحسن بن محمد بن الحسن:

العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، حرف الفاء، بغدادا : وزارة الثقافة، (ط١)، دون تاريخ.

الطيبي، شرف الدين الحسن بن محمد بن عبد الله:

التبيان في البيان، تحقيق: توفيق الفيل وعبد اللطيف لطف الله، الكويت: جامعة الكويت (ط١)، ١٩٨٦م.

ابن عاصم، أبو طالب المفضل بن سلمه:

الفاخر، تحقيق عبد العليم الطحاوي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

عبد التواب، رمضان:

التطور اللغوي وقوانينه، مجلة كلية اللغة العربية، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٩٧٥م- ع٥).

عبد الجليل، محمد بدري:

المجاز وأثره في الدرس اللغوي، الاسكندرية: دار الجامعات المصرية، ١٩٧٥م.

عبد العال، عبد المنعم سيد:

معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية القاهرة: مكتبة الخانجي (ط٢)، ١٩٧٢م.

العبودي، محمد بن ناصر:

الأمثال العامية في نجد، الرياض: دار اليمامة ١٩٧٩م.

أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروى:

- غريب الحديث، ج٢ ، حيد آباد: دار المعارف العثمانية، ١٩٦٤م.
- كتاب السلاح ، تحقيق حاتم صالح الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة (ط٢)، ١٩٨٥م.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي:
مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، القاهرة: مكتبة الخانجي، (ط٢)، ١٩٨٥م.
ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله:
شرح ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد عبد العزيز النجار، القاهرة: مطبعة الفجّالة الجديدة، ١٩٦٧م.
العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم:
الطراز، ج١، القاهرة: دار الكتب الخديوية، ١٩١٤م.
عمر، أحمد مختار:
- علم الدلالة، الكويت: دار العروبة(ط١)، ١٩٨٢م.
- اللغة واللون، الكويت: دار البحوث العلمية (ط١)، ١٩٨٢م.
عياد، شكري محمد:
طاغور شاعر الحب والسلام، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٧٤م.
ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا:
الصاحبي، تحقيق مصطفى الشويمي وسالم بن دامرجي بيروت: مؤسسة أ. بدران، ١٩٦٣م.
الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد:
المسائل البغداديات، تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوي، بغداد: وزارة الأوقاف ، ١٩٨٣م.
فريحة، أنيس:
معجم الألفاظ العامية، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٣م.
قاسم، عون الشريف:
قاموس اللهجة العامية في السودان، القاهرة: المكتب المصري الحديث (ط٢)، ١٩٨٥م.
ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم:
تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة: دار التراث، (ط٢)، ١٩٧٣م.
القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن:
الإيضاح في علوم البلاغة، ج١، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية،
لعيبي، حاكم مالك:
الترادف في اللغة، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠م.
ابن مالك، محمد بن عبد الله:
تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م.
المسدي، عبد السلام:
التفكير اللساني في الحضارة العربية، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م.
المنصور، وسمية عبد المحسن:
عيوب الكلام، دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب، الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٦م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم:

لسان العرب، القاهرة: (طبعة بولاق)، ١٣٠٨هـ.

الموسى، نهاد:

النحت في اللغة العربية، الرياض: دار العلوم، (ط١)، ١٩٨٤م.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل:

إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، بيروت: مكتبة النهضة العربية (ط٢) ١٩٨٥م.

النوري، عبد الله:

الأمثال الدارجة في الكويت، بيروت: مكتبة دار أعلام الفكر، دون تاريخ.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف:

رياض الصالحين، بعناية: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة (ط١)، ١٩٨٢م.